نوور عيني

المحاضرة الأولى

النظرية في علم الاجتماع تعريفها وأنواعها وطابعها

مقدمة

يعتقد البعض أن **النظرية ما هي إلا فكرة أو تصور** أو حتى مجموعة أو إطار من التصورات ، ويظن البعض الآخر أن النظرية لا تختلف كثيراً عن **الفرض العلمي** أو تتكون من مجموعة من القضايا الشبيهة بهذا الفرض ، وقد نجد بعضا ثالثاً يعتبر النظرية بمثابة **مبدأ أو قانون** بينما يقرر بعض رابع أن النظرية تمثل **نموذجاً** أو تقترب من عملية صياغة الأنماط.

وهكذا قد يتجه الفهم الشائع لمفهوم النظرية بين رجل الشارع وحتى بين بعض المثقفين بعيداً عن المعنى الدقيق لمفهوم النظرية كما استخدم الآن خاصة في مجموعة النظم الفكرية المختلفة التي اكتسبت أخيراً لقب العلم، وكما يساعد على إزالة ذلك الخلط والتداخل بين مفهوم النظرية ومجموعة كبيرة من المفهومات وثيقة الصلة بها.

ويعين في نفس الوقت على تصحيح ذلك الفهم الخاطئ الذي قد يصاحب استخدام مفهوم النظرية في بعض الأحيان، وكان بعض الباحثين المهتمين بالنظرية قد انشغلوا في البحث عن تعريف محدد وواضح ودقيق للنظرية في أثناء محاولتهم لتأريخ النظرية في نطاق العلم عامة وعلم الاجتماع موضوع اهتمامنا على وجه الخصوص.

والذي أسهم من جانبه في **التعرف على حدود مفهوم النظرية وصلته بمجموعة المفهومات التي قد يختلط ويتداخل معها** ، وكذلك أسهم هذا الجهد في التمييز بين أنواع متباينة للنظرية والكشف عن طابع النظرية في العلم وفى علم الاجتماع فيما بعد.

أولاً :المفهومات وثيقة الصلة بمفهوم النظرية

إذا سلمنا بالرأي القائل **أن العلم ما هو إلا مجموعة من المعارف المنظمة التي تدور حول ميدان محدد(** الظواهر التي يهتم بدراستها)فالمتبع بين العلماء في مختلف النظم الفكرية – طبيعية واجتماعية – **هو الاستعانة بمجموعة من الوسائل تساعد في التوصل إلى هذه المعارف** المنظمة وكذلك الاعتماد على مجموعة من الأساليب في التعبير عن هذه المعارف المنظمة.

وإذا وافقنا على هذا الرأي **بأن المعارف المنظمة التي يهدف إليها كل نظام فكري في أي علم لا تختلف كثيراً عن النظريات**، فمن الملاحظ أن العلماء يستعينون بأساليب مثل المناهج والطرق والأدوات في التوصل إلى هذه النظريات وفى نفس الوقت يعتمدون على أساليب مثل **التصورات والمفهومات العلمية والمصطلحات والمسلمات والفروض والقوانين والنماذج في التعبير عن النظريات العلمية.**

ومن هنا ظهر **الارتباط الوثيق بين مفهوم النظرية ومجموعة المفهومات الأخرى مثل المصطلح العلمي والفرض والقانون** والنماذج إلى الحد الذي اختلط معه الأمر على البعض وكاد أن لا يرى اختلافاً بينهما، ومن هنا كان من الواجب التعمق في معرفة هذه المفاهيم على النحو التالي-:

1- المفهوم او المصطلح العلمي

لقد استخدم علم الاجتماع **مصطلحات شائعة** في لغة الحياة اليومية واعتبرها بمثابة مفهوماته الأساسية واستعان بها في التعبير عن جوهر تفكيره العلمي، **وتعتبر مفاهيم مثل الشخصية والثقافة والمجتمع المحلى والمجتمع والجماعة والأسرة والاتجاه والقيم مجرد أمثلة قليلة على المفهومات السوسيولوجية** والتي تختلف معانيها لدرجة كبيرة في استخدامات عالم الاجتماع عن استخدام رجل الشارع لها.

والمفهوم أو المصطلح أو التصور العلمي ومثاله إحدى الكلمات المشار إليها سلفا، يتكون من خلال:

1. **عزل مجموعة محددة من الأحداث أو أنماط السلوك.**
2. **ووصف خصائصها**
3. **ومن ثم تلخيصها في معنى معين ممثلاً لهذه المجموعة من الأحداث أو الأنماط أو السمات في جملتها.**

وبهذا تعتبر كل مجموعة جديدة من البيانات عزلت أو فصلت عن المجموعات الأخرى على أساس خصائص محددة بمثابة معطى أو إسما أو تسمية أو هي باختصار **مفهوم.**

(انتبهوا) ومن هنا يمكن تعريف المفهوم على انه: {تحديداً مختصراً لمجموعة من الحقائق أو اختصاراً لعدد من الأحداث أو الظواهر تحت عنوان عام واحد ، أو انعكاس لما يدور في فكرنا حول هذه الظواهر والأحداث والعمليات في صورة مبسطة.}

(انتبهوا) وتنقسم المفهومات إلى نوعين:

نوع بسيط يشير مباشرة إلى الموضوعات التي يختصرها مثل مفهومات **الكتب أو المنضدة أو السيارة.**

والنوع الآخر هو المفهومات المجردة :وهي التي لا تشير مباشرة إلى الموضوعات التي تختصرها مثل مفهومات **الإحباط والعدوان والدافعية والتضامن الاجتماعي،** وهي تمثل **استنتاجات** على مستوى عالٍ من التجريد ، ولا يمكن توصيل معناها بسهولة من خلال الإشارة إلى موضوعات معينة أو أفراد أو أحداث أو ظواهر ، ومن هنا يعتبر هذا النوع من المفهومات المجردة بمثابة أبنية فرضية ، وتعرف عملية اختصار الظواهر أو الموضوعات على هذا النحو السابق والتعبير عنها في صورة مفهومات باسم **عملية صياغة المفاهيم Conceptualization**

ولما كانت **المفهومات المجردة والأبنية الفرضية** مثل الإحباط والتضامن أكثر تعقيداً من المفهومات البسيطة ، فإن هذه المفهومات المجردة ليست في حاجة فقط إلى أن تكون محددة بعناية ، **وإنما تحتاج أيضا إلى ترجمتها إلى أحداث يمكن ملاحظتها أو مؤشرات يمكن على أساسها جمع البيانات التي تدلنا على هذه المفهومات.**

ومن ثم ظهرت الحاجة إلى وضع **نوع آخر من التعريفات لهذه المفهومات** والذي يساعد على ترجمتها إلى ملاحظات أو مؤشرات ويسهم في توحيد معانيها بين الباحثين ، وتعرف هذه العملية الأخيرة **بإسم التعريف الإجرائي للمفهومات Operational definition**

ويعتبر **" جون استيوارث دود "**هو المسئول الأول عن محاولات **إدخال هذا النوع من التعريفات الإجرائية للأبنية الفرضية إلى علم الاجتماع** في محاولة منه لاستخدام مفهومات يمكن ملاحظتها وعمليات يمكن اختبارها بحيث يمكن بناءً على ذلك استخدام المفهومات على نحو **يساعد على الوصف الموضوعي والدقيق وبطريقة قابلة للتحقيق للظواهر والأحداث التي تشير إليها هذه المفهومات،** ومن هنا تبدو أهمية المفهومات باعتبارها كلمة مختصرة ومحددة وظيفتها وصف الظواهر موضوع البحث.

غير أن هناك إلى جانب المفهوم مصطلح آخر له أهمية مساوية هو **المتغير Variable وهو بُعد يمكن قياسه للمفهوم** مثل طول أو ارتفاع الرجل أو ديمقراطية أو ديكتاتورية القيادة ، كما **يرتبط بمصطلح المتغير مفهوم آخر هو المؤشر Indicator وهو ما يدل على المتغير في الواقع وما يساعد على ربط المتغيرات بالواقع موضوع الملاحظة.**

مثال :عند الحديث عن القيادة الديمقراطية يمكننا اعتبار مؤشر المشاركة في اتخاذ القرار كافٍ للدلالة على المقصود بهذا النوع من القيادة في الواقع ، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى قد ينظر في الغالب إلى **مجموعة من المفهومات أو إلى ما يعرف بالإطار التصوري Conceptual Framework على أنها نظريات** غير أنها تمثل طريقة في الصياغة التصورية للظواهر في إطار وجهة نظر محدودة أكثر مما تعمل على تفسير العلاقات الداخلية بين هذه المفهومات.

2- الفرض العلمي Scientific Hypothesis

أن الفرض العلمي**{ عبارة عن جملة تشتمل على أكثر من مفهوم أو هو بعبارة أدق قضية تحمل تفسيراً مبدئياً أو حلاً مقترحاً لمشكلة أو موضوع أو حدث أو ظاهرة.}** فمثلاً أن الإقلاع عن التدخين يمثل الحل المقترح لمشكلة الإصابة بسرطان الرئة أو أن التدخين يفسر لنا مبدئيا سرطان الرئة، **وهذه هي الوظيفة الأساسية للفروض ونعني التفسير المبدئي للظواهر موضوع الاهتمام.**

وقضية الفرض ذاتها تضم حدثين أو ظاهرتين أو موضوعين مثل "التدخين وسرطان الرئة "يطلق على **أحدهما(الأول)المتغير المستقل أو التجريبي Independent Variable، ويطلق على(الثاني) المتغير التابع Dependent Variable** ، وقد تكون العلاقة بين هذين المتغيرين **علاقة ارتباط أو علاقة تلازم أو علاقة** سببية ، ويحاول البحث التحقق من طبيعة هذه العلاقة التي تدلنا عليها قضية الفرض هذه.

كما **تبنى الفروض على أساس الاحتمالات أو التخمين والحدس العميق** الذي يمتاز به بعض الباحثين، وبدون الفروض قد يجد الباحث أنه من الصعب عليه للغاية أو من المجهد أو ما يضيع الوقت أن يميز بين مجموعة العوامل المتفاعلة أمامه، **فالفرض هو الذي يوجهه في عملية اختيار الحقائق المناسبة واللازمة لتفسير خضم الحقائق البعيدة عن الموضوع أو عديمة الصلة به.**

وهكذا **يختلف الفرض العلمي عن النظرية** كما يختلف الفرض **عن المفهوم** ، غير أن اختلاف **الفرض العلمي** عن **المفهوم** من حيث أن الأول **قضية** والثاني **كلمة** قد يسمح بشيء من التداخل بين قضية الفرض العلمي وبين غيره من أنواع القضايا المعروفة في العلم.

إذ هناك قضايا بديهية أو مسلمات **وهي تلك القضايا التي تدخل في بناء النظرية وينظر إليها باعتبارها نقطة انطلاق وأنها ليست في حاجة إلى برهنة، والتي يستنبط منها بقية القضايا الأخرى في النظرية طبقاً لمجموعة قواعد محددة،** ومثال ذلك قول" هربرت سبنسر "أن {المجتمع يماثل الكائن الحي.}

3- القانون العلمي Scientific Law

إذا كان الفرض قضية مصاغة على نحو عام قبل التحقق من الوقائع ويعالج نطاقاً ضيقاً منها، ويُعد افتراضاً أولياً يؤخذ به من أجل تفسير الحقائق التي تم ملاحظتها فقط في أثناء مرحلة الاستطلاع، **فإن القانون يُعد بمثابة قضية دقيقة تختزل سلسلة من الحقائق العلمية أو تختصرها في صيغة رياضية.**

وهذا النوع من القضايا الدقيقة والمختزلة في صيغة رياضية **لا تصل إليها إلا بعد اختبار وتحقيق وبلورة لمجموعة من الحقائق العلمية والقضايا الأخرى من نوع الفروض والتعميمات المحدودة** ولذلك يُعد القانون قضية على درجة عالية من الاحتمال **ويمكن الإفادة منه في تحقيق وظائف التوقع والتنبؤ في ميدان العلم.**

4- النموذج العلمي Scientific Model

وتعتبر النماذج العلمية **(صياغات تصورية منسقة على نحو مبسط تضع العناصر المتشابكة في شكل إطار محدد }**، وهناك **أنواع مختلفة من أشكال هذه الأطر من بينها الإطار الشهير الذي يعرف باسم إطار الأهداف والوسائل عند" ميرتون "**وهو من أشهر الأمثلة على النماذج العلمية في علم الاجتماع.

وتعتبر **صياغة المادة العلمية في شكل رياضي هي الصياغة التصورية -أو النموذج -المفضل لدى كثير من الباحثين.** ومهما كانت الصياغة أو الشكل المختار للنماذج ، فهي **تؤدي وظائف محددة، أهمها :تقديم صور من النظريات.** مثلاً تصور نظرية علم الاجتماع باعتبارها مجموعة نماذج: **كالنموذج العضوي أو النموذج الوضعي -نموذج الصراع- نموذج العملية الخ...**

وتمكن النماذج من إدراك وبسرعة وعلى نحو شامل أنواع العلاقات بين المتغيرات التي تعبر عن النظريات. ويمكن إخضاع النتائج المشتقة من هذه التوقعات لمزيد من الفحص الشامل ، وبما أن هذه النتائج لا وجود لها يمكن صياغة إجراءات بحث وتصميمات تساعد على اشتقاقها.

كما أن النماذج تبين بوضوح حدود النظريات ونطاقها التصوري لأنها تعمل من خلال تركيز اهتمامها على الظواهر التي تشتمل عليها النظرية كما تعمل على توضيح والإجابة على السؤال **: أين تقف النظرية أو تنتهي؟** بحيث يمكن أن نستبعد من فحصنا وقائع الحياة الاجتماعية التي لا يمكن أن تنطبق عليها.

ومن ناحية أخرى قد ينظر إلى النموذج على أنه نوع من التنميط Typologyالذي يساعد على تحديد العلاقات المتداخلة بين خصائص أو ظواهر نحاول توضيحها{ مثال ذلك نموذج الأسرة النواة ونموذج المجتمع الصناعي المتقدم .} وتفتقر النماذج عموماً إلى القدرة على التفسير إذ لا يفسر نمط الأسرة النواة أي شيء داخل هذه الوحدة ، وقد يكون نموذج المجتمع الصناعي المتقدم في المستقبل مفيداً، إلا أنه لا يفسر لنا تطور أو بناء أو العمليات الداخلية في هذا المجتمع.

وهكذا يتضح أن مفهومات مثل التصور والمتغير والمؤشر والإطار التصوري والفرضي والمسلمة والقانون والنموذج ليست في حد ذاتها نظريات لأن كل مصطلح منها لا يقدم في ذاته تفسيرا للظواهر التي يشير إليها. ولأن هذه الوظيفة أي التفسير تُعد وظيفة جوهرية بالنسبة للنظرية ، وأن الخلط والتداخل بين هذه المفهومات وبين مفهوم النظرية يمكن رده إلى أن **كل هذه المصطلحات تُعد أجزاء من بناء النظرية** كما سنحاول توضيحه في تعريف النظرية في المحاضرة القادمة إن شاء الله.

المحاضره الثانية –النظريات الاجتماعية

ثانياً/ تعريف النظرية :

قد يكون من الصعب علينا ان نحصر الكتابات التي تعرضت لتحديد المقصود بالنظرية ومحاولة تقديم تعريف واضح لها ، غير انه من ناحية اخرى يمكن لنا تصنيف هذه الكتابات الى فئات محدده منها :

1- فئة الكتابات التي اهتمت ببيان طبيعة النظرية وتطورها في علم الاجتماع ومنها كتاب نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها الذي ألفه تيماشيف .
2- فئه الكتابات التي عنيت بتوضيح بناء النظرية في علم الاجتماع ومن بينها كتاب "جراهام كينلوش"
3- فئة الكتابات التي تخصصت في مناهج البحث العلوم الاجتماعية ومن امثلتها كتاب "كلير سيلز"حول مناهج البحث في العلاقات الاجتماعية .
4- واخيرا ،فئة الكتابات التي تهتم بتحديد المصطلحات والمفهومات ومن امثلتها قاموس الفلسفة الذي حرره "روزنتال وبادين".

وباستطاعتنا ان نلقي الضوء على تعريف النظرية كما ساد بين هذه الكتابات من خلال الاكتفاء بمثال واحد عن كل فئه من الفئات الاربعة لتلك الكتابات العديده التي اهتمت بموضوع النظرية .

- ❖ نموذج قياس اساسي العلاقات المسلم بها جدلا
- ❖ المفهومات كما تحدد طبقا للنموذج
- ❖ العلاقات المنطقية بين المفهومات(انواع العلاقات- بديهيات- قضايا تقريرية.. الخ)
- ❖ الصياغة الاجرائية للفروض والمتغيرات والمؤشرات
- ❖ مجموعة المناهج اعتمادا على النظرية ونوعية البيانات
- ❖ تحليل البيانات المعالجة الاحصائية، ارتباط- اختبارات الدلالة
- ❖ تفسير البيانات، حدود البيانات
- ❖ تقويم النظرية، الكفاءة الامبيريقية والنظرية

1- يحاول تيماشيف ان يوضح معنى النظرية من خلال عرضه المختصر لبناء اي علم امبيريقي بغض النظر عن موضوع الدراسة الخاص به والذي يذهب فيه الى انه اذا كانت الملاحظة هي اساس كل علم امبيريقي. وانه يتم التعبير عن نتيجة الملاحظة الفردية في صورة قضية واحدة مؤداها ان هذه الظاهره المحدده موضوع الملاحظة قد حدثت في زمان معين ومكان محدد وكانت مثل هذه القضيه تعتبر بمثابة مطلب ضروري لاي علم الا ان هذا النوع من القضايا ليس كافيا في حد ذاته لبناء نظرية العلم .
لانه ينبغي ان تنظم الملاحظات الفردية وهناك اساليب عديدة ومتنوعة لتنظيم هذه الملاحظات بمعنى ان تحدد انماط تضم كل منها عددا من الملاحظات المتشابهة وقد تخضع الملاحظات الفردية للمعالجات الاحصائية مثل التوزيع التكراري والتسلسل الزمني ومعاملات التوافق والارتباط وغيرها او قد ترتب هذه الملاحظات في سياق نشوئي يوضح النمو التدريجي لعمليات معينه مع مقارنة كل هذه السياقات بالاخر من اجل الكشف عن اوجه الشبه والاختلاف بينها ،ويترتب على تنظيم الملاحظات باستخدام واحد من اساليب التنظيم او اشكاله السابقه ما يعرف بالتعميم الذي يوضع في شكل قوانين طبيعة او اجتماعية –حسب مجال الدراسة – تمكن من التنبؤ بنتيجة محددة عندما تتوافر شروط معينه . وتمثل النظرية مجموعة من القضايا التي تتوافر فيها الشروط التالية :

- ينبغي ان تكون المفهومات التي تعبر عنها القضايا محدده بدقة
- يجب ان تنسق القضايا بعضها مع البعض الاخر
- لابد ان توضع القضايا في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات اشتقاقا استنباطيا
- ينبغي ان تكون هذه القضايا من النوع الخصب والمثمر الذي يستكشف الطريق نحو ملاحظات ابعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة

أ- المخدرات.الصحه-الاسلام
ب- المخدرات ضارة بالصحة .

الكوكائين من المخدرات (التي تنتشر بالمجتمعات الاسلامية)

الاسلام يدعو الى تجنب مايضر بالصحة

ج- المخدرات محظوره بالدول الاسلامية

د- مكافحة المخدرات ضرورية

أ- كل الفواكه لونها احمر
ب- الموز فاكهة
ت- الموز لونه احمر

هذا الاستنباط صحيح ؟

ولايمكن ان نستقى النظرية من الملاحظات والتعميمات عن طريق استخدام وسائل الاستقراء المضبوطة والدقيقة فقط لان بناء النظرية يعتبر عملا وخلاقا ،يحتاج الى قفزة فيما وراء الادله ، النظرية مهما كان مصدرها لابد وان تخضع للتحقيق .وهي تعد صادقه ومحققه مبدئيا في حالة عدم وجود وقائع معروفة او تعميم قائم يناقضها .

اذا كان هناك مايناقضها فالامر يتطلب رفضها او تعديلها على الاقل .ويعتبر هذا الاختبار مجرد تحقيق مبدئي لانه قد توجد هناك احيانا نظريتان او اكثر تقومان بتفسير الوقائع او التعميمات المعروفه ،الامر الذي يجعلنا نلجأ في هذه الحاله الى استخدام اجراء اخر يعرف بالتجربة الحاسمة او الملاحظة الحاسمة بحيث يمكننا هذا الاجراء من تقرير اي النظريات تتطابق مع الواقع وتتفق معه .

2- بدأ جراهام كينلوش في كتابه بعنوان "نظرية علم الاجتماع تطورها ونماذجها الرئيسية "، تعريفه للنظرية باستعراض ماهو متاح في التراث من اجتهادات سابقة من بينها تعريف بلالوك بأن النظرية لاتشتمل فقط على الاطر التصورية او الانماط المختلفة والنماذج وانما تشتمل معظمها ايضا على قضايا تشبه القوانين وتربط بين المفهومات والمتغيرات . وكذلك تعريف جيبز بأن النظرية عبارة عن مجموعة من القضايا التي ترتبط منطقيا فيما بينها في صورة تأكيدات امبيريقية تتعلق بخصائص مجموعة محدده من الاحداث او الاشياء.
يمكن النظر الى عدد من الخصائص المشتركة من بينها التجريب والمنطقية والقضايا والتفسيرات والعلاقات وموافقة الدوائر العلمية عليها بحيث يمكن القول بأن النظرية عبارة عن قضايا مجردة ومنطقية تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر .

بالنسبة لـ كينلوش هذا التعريف لايعبر عن بناء وتكوين النظرية نظرا للاختلاف على نوع وعدد العناصر التي يشتمل عليها هذا البناء ومع ذلك يمكن تلخيص هذه العناصر على النحو التالي :

أ- يعتبر النموذج القياسي الذي تستند اليه النظرية اول دعامات للنظرية ،ذلك النموذج الذي يشتمل على الصياغة التصورية الخاصة بالظواهرالتي تقوم النظرية بتفسيرها وعلى العلاقات التفسيرية الاساسية التي توضح الاسلوب الذي تعمل بواسطته هذه الظواهر .
وهكذا يتم تحديد الظواهر موضوع الاهتمام على نحو تصوري بينما يفترض جدلا وجود علاقة سببيه اساسية حيث تستخدم مضامين هذه العلاقة في تفسير تلك الظواهر الخاصة بموضوع الاهتمام واذا حدث وان حقق تطوير هذا النموذج القياسي مستوى يفوق مستوى الفروض البسيطة والعامة فإنه قد يصبح نموذجا للعلاقات المسلم بها جدلا والتي تمثل الاساس في البناء الرسمي للنظرية .ومن امثلة النماذج القياسية النظرية يمكن الاشاره الى اطار البنائية الوظيفية وتوجيهات نظرية الصراع ونظرية فرويد الشخصية والتفاعلية الرمزية .

ب- اي نموذج قياسي ينطوي على مفهومات معينه وهي اوصاف او اسماء تعطى لمجموعة ظواهر (مثل الشخصية والطبقة الاجتماعية والنسق الاجتماعي والنظام والحراك الاجتماعي والتغير الاجتماعي) وهذه المفهومات في حاجه الى تحديد واضح والى التدليل على علاقتها بالنموذج القياسي الاساسي .

ث- تحتاج العلاقات المنطقية بين هذه المفهومات الى توضيح بمعنى انه ينبغي الربط بين المفهومات على نحو نظري وتميل مستويات وشكل هذه العلاقات الى التباين فقد تكون بمثابة بديهيات (بمعنى القضايا التي يفترض بأنها صحيحه في ذاتها)

ثم القضايا التي تمثل تعبيرات عن العلاقات التي يمكن استخلاصها بين هذه البديهيات او الفروض او تلك التعبيرات عن العلاقات بين المفهومات في شكل اجرائي بمعنى مؤشراتها الامبيريقية واكثر من ذلك قد تكون هذه العلاقات ايجابية او سلبيه او مستقلة عن بعضها الاخر .

ج- تحتاج المفهومات والتعبيرات عن العلاقات الى ان تحدد على نحو امبيريقي او تصوري في صورة متغيرات (مثل اختبارات الشخصية ومقاييس الطبقة الاجتماعية والمقاييس الديموجرافية للنسق الاجتماعي والبناء التنظيمي للنظم ومقاييس معدلات الحراك الاجتماعي والمقاييس الاقتصادية الاجتماعية للتغير الاجتماعي)
ويشتمل كل متغير ايضا على عدد من المؤشرات الامبيريقية التي تحدد بواسطة نوع الاداة المستخدمة في البحث (استبيان –مقابلة ...) والتي يختارها صاحب النظرية ويتمثل الاختلاف الرئيسي بين النظريات العلمية وغير العلمية في المدى الذي أمكن به اختبار هذه النظريات امبريقيا اكثر من الاختلاف فيما بينها في الايديولوجيا او في نسق الافكار وثيق الصلة بكل منهما .

ح- وتشتمل هذه المرحلة على مناهج البحث الامبيريقية لاختبار العلاقات الافتراضية بين المتغيرات والمؤشرات وقد يشتمل ذلك على : مسح للرأي ، وملاحظة بالمشاركة ، وبيانات توفرها المقابلة الشخصية ، والمعالجة الرياضية للمعطيات الديموغرافية او تجارب الجماعة الصغيرة في العمل . وهذه النماذج تحدد الى درجة كبيره طبقا لنوع المتغيرات المستخلصة من بناء النظرية . ومهما كانت نوعية المناهج المستخدمة فهي محكومة بخصائص العينة المتاحة والخطأ في سحب العينة ومستوى الضبط الذي يتوافر للباحث وخطأ القياس وكذلك الخطأ في تحليل البيانات .

خ- عندما يتم جمع البيانات ، ينبغي تحليلها بالرجوع الى الفروض الرئيسية للنظرية وغالبا مايشتمل هذا التحليل على تطبيق للاساليب الاحصائية للاشارة الى مستويات الارتباط والدلالة الاحصائية واذا اسيئ تطبيق هذه الاختبارات وافتقر الى المهاره فانه قد يكون مضلا الى درجة كبيرة واكثر من ذلك فان هذا يعتمد الى حد كبير على نوعية العينه والبيانات المتوافره .

د- فور اكتمال تحليل البيانات ينبغي على صاحب النظرية الشروع في تفسير نتائج البيانات بالرجوع الى بناء النظرية نموذجها القياسي الاساسي والبديهيات والقضايا التقريرية والفروض .ولما كانت المناهج الامبيريقية والاختبارات وتحليل البيانات لاتمدنا الا باختبارات غير مباشرة فقط للبناء الاساسي للنظرية فإن الباحث مطالب بأن يكون على درجة عالية من الاحتياط في استخلاص استنتاجاته من بيانات محدودة ومن السذاجة المبالغة في الدلالة النظرية لأي مجموعة من البيانات الامبيريقية مهما كان نطاق هذه البيانات متسعاً .

ذ- في النهاية يسعى صاحب النظرية الى تقويم النظرية في ضوء معيارين اثنين اساسين اولهما : كفاءه ومجال ومنطق بناؤها النظري ، وثانيهما : مستوى امكانية الاختبار والتنبؤ والدقة عند اخضاعها للفحص الامبيريقي . والمجال مفتوح هنا لعدد من البدائل الممكنه :

- اما استبعاد النظرية كلية
- او تعديل نموذجها القياسي الاساسي
- او تطوير بديهيات اخرى وقضايا تقريرية وفروض
- او استحداث مناهج جديده

ومهما كان الحال يضطر الباحث الى اتخاذ بعض القرارات المتعلقه بالنظرية التي يطورها او يختبرها ولهذا تعد عملية التنظير عملية مستمرة وديناميه وتشتمل على تغير مستمر وتعديل . والخلاصة ان النظرية تعد بمثابة مجموعة من القضايا التقريرية والمنطقية والمجردة والمقبولة والتي تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر .

3- وهنا نطرح سؤالا وهو :ما الذي يشتمل عليه بناء النظرية ؟

ان بناء النظرية الرسمي يشتمل على ثمانية عناصر رئيسية وهي :

- نموذج قياس
- مجموعة مفهومات
- العلاقة بين المفهومات

- قضايا تعبيرية (بديهيه وقضايا تقريرية وفروض) تتعلق بالعلاقات المنطقية بين هذه المفهومات والقضايا معبر عنها بطريقة اجرائية
- مجموعة المناهج المستخدمة في اختبار العلاقات الافتراضية
- تحليل البيانات
- تفسير النتائج
- وفي النهاية عملية تقويم البناء الامبيريقي والمنطقي للنظرية في ضوء تحليل البيانات وتفسيرها

ويوضح الشكل التالي العناصر التي يشتمل عليها بناء النظرية ويعبر عن ديناميات عملية التنظير :

- ❖ نموذج قياس اساسي العلاقات المسلم بها جدلا
- ❖ المفهومات كما تحدد طبقا للنموذج
- ❖ العلاقات المنطقية بين المفهومات(انواع العلاقات- بديهيات- قضايا تقريرية.. الخ)
- ❖ الصياغة الاجرائية للفروض والمتغيرات والمؤشرات
- ❖ مجموعة المناهج اعتمادا على النظرية ونوعية البيانات
- ❖ تحليل البيانات المعالجة الاجصائية، ارتباط- اختبارات الدلالة
- ❖ تفسير البيانات، حدود البيانات
- ❖ تقويم النظرية، الكفاءة الامبيريقية والنظرية

4- اهتمت كليز وزملاؤها من ناحية اخرى في كتابهم عن مناهج البحث في العلوم الاجتماعية بتحديد معنى النظرية فاقتبست تعريف براث وات الذي يرى ان النظرية تشتمل على مجموعة من الفروض التي تكون نسقا استنباطيا .
بمعنى انها تنتظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقه تلحق ببعض الفروض المتقدمة او بعبارة اخرى تعد النظرية بمثابه مجموعه من القضايا التي تنتظم في نسق نمطي ويتتدرج على مستويات :

1- يحتل فيه القضايا او الفروض على مستوى الاعلى مكانه المقدمات المنطقية
2- وتكون فيه الفروض على المستوى الادنى بمثابة نتائج لما يتقدمها من فروض
3- وتكون فروض المستوى الاوسط مستنتجه من فروض المستوى الاعلى
4- كما تكون فروض المستوى الاوسط بدورها مقدمات منطقية لفروض المستوى الادنى

- البطالة تسبب الفقر(أ هي ب)
- الفقر يسبب الانحراف (ب هي ج)
- البطالة تسبب الانحراف (أ هي ج)

5- يذهب كل من روزنتال وبادين في القاموس الفلسفي الى ان : النظرية تعتبر بمثابة نسق من المعرفه التعميميه وتفسير للجوانب المحتلفه للواقع وانها ترتبط باشياء ومصطلحات اخرى مع انها تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف فهي تختلف عن التطبيق والممارسة لان جوهرها يهتم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا . واذا كانت كل نظرية نسقا او اطارا فكريا فهي نسق معقد اذ يمكن لنا ان نميز في النظريات الفيزيقية بين جزئين او جانبين مكونان لها ، الحسابات الصورية :كالرياضيات والرموز المنطقية ...الخ وبين التفسير الاساسي الجوهري :كالمقولات والفئات والقوانين وما اليها .

اذ من الملاحظ ان هذه المناقشات تقدم لنا اجابات مناسبة على كل مايمكن ان يثار من تساؤلات حول النظرية مثل كيف تتكون ؟ ومما تتكون ؟ وماهي الشروط التي يجب ان تتوافر في العناصر المكونة لها ؟ وبماذا تمتاز النظرية ؟ واخيرا لماذا يحرص العلماء على تكوين النظرية ؟

أ- حيث تتفق وجهات النظر كل من تيماشيف وكينلوش على الكيفية التي يتم بها تكوين النظرية ، وكيف ان عملية التنظير عملية معقده ومستمرة ولاتتم بمعزل عن مجموعة المناهج بحيث لاتعد كلا من النظريات والمناهج كيانات منفصله انما تنطوي كل واحده منها على الاخرى ،وينبغي ان تجري عملية التقويم لها معا في نفس الوقت .

تيماشيف يوضح هذه الكيفية من خلال انطلاق العلم من الملاحظه ثم تجميع الملاحظات الفردية واستخلاص نتيجة عامه بطريقه استقرائيه واستخدام اساليب التصنيف والمعالجة الاحصائية وغيرها ثم اختيار صحة هذه النتيجة العامه كفرض مبدئي ثم التوصل الى

التعميمات او القوانين .فإن كينلوش يوضح هذه الكيفيه من خلال انطلاق العلم من النماذج القياسية والتصورات ومحاولة صياغة قضايا تحتاج بعد ذلك الى اختبار ثم تحليل للبيانات وتفسيرها واخيرا تقييم القضايا نظريا ومنهجيا

ب- ثم تتفق وجهات نظر كل من كينلوش وسيلتز ويادين على مكونات النظرية بحيث نجد كينلوش يحصر هذه المكونات في النماذج القياسية ثم المفهومات ثم القضايا المسلمة والفروض .

نلاحظ ان سيلتز تحصر هذه المكونات في نسق القضايا التي تمثل بعضها مقدمات وتعد الاخرى نتائج عامة بينما يردها روزنتال ويادين الى اطار مكون من حسابات صورية ورموز وقواعد وتفسير جوهري : مقولات وقوانين

ج- ثم تتفق وجهات نظر تيماشيف وكينلوش وسيلتز ويادين على الشروط التي يجب ان تتوافر في العناصر المكونة للنظرية اذ يقول تيماشيف انه ينبغي ان تكون مفهومات النظرية محدده بدقة وان تتسق القضايا المكونة لها بعضها مع البعض الاخر وان تصاغ في شكل يسهل اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية وان تخضع للتحقق الامبيريقي ويؤكد كينلوش ضرورة تقويم النظرية في ضوء معيارين اثنين اساسيين اولهما : كفاءة ومجال منطق بناؤها النظري . وثانيهما : مستوى وامكانية الاختبار والتنبؤ والدقة عند اخضاعها للفحص الامبيريقي . بينما ترى سيلتز انه يجب ان تصاغ النظرية في نسق استنباطي وان نجد تأييدا لها في الوقائع الامبيريقية واخيرا يرى روزنتال ويادين انه ينبغي ان تصاغ النظرية في نسق معقد من المعرفة التعميميه الذي يفيد في تفسير جوانب الواقع .

د- وكذلك تتفق وجهات نظر هولاء العلماء على ان هناك مجموعة من الخصائص التي تمتاز بها النظرية اذ يذهب تيماشيف الى ان النظرية هي البناء الذي يجمع اشتات النتائج المبعثره ويوحد بينها وانها تضم قضايا خصيبة ومثمرة تستكشف الطريق نحو ملاحظات ابعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة . كما ان هذه القضايا ليست نهائية ويؤكد كينلوش ان قضايا النظرية مجرده ومنطقية وان عملية التنظير عملية مستمرة وديناميه وتشتمل على تغير مستمر وتعديل وهذا هو نفس المعنى الذي اقرته سيلز عندما كانت تقول ان النظرية تتسم بانها اكثر ارتباطا بالوقائع الامبيريقية . وهي ليست صياغة استاتيكية او نهائية فهي قابله باستمرار للتغيير والمراجعه اما روزنتال ويادين فكانا يريا ان النظرية ترتبط باشياء ومصطلحات اخرى قد تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف مثل المفاهيم والتطبيق والممارسة .

ه- ويمكن ان نلاحظ ايضا الاتفاق بين وجهات نظر هؤلاء العلماء في الاجابة على السؤال : لماذا يحرص العلماء على تكوين النظرية ؟ او بعبارة اخرى ماهي وظيفة النظرية ؟ اذ يكفي ان نذكرمثلا ان تيماشيف كان يرى ان النظرية تمثل ارقى وارفع ما يمكن ان يصل اليه العلم من معرفة يستعان بها في تفسير الوقائع التي يعني بدراستها . وكذلك يؤكد كينلوش ان وظيفة التفسير تعتبر جوهرية بالنسبة للنظرية بينما ذهب روزنتال ويادين الى ان النظرية نسق يعمل على تفسير الجوانب المختلفه للوقاع وان جوهرها يهتم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا .

المحاضرة الثالثة

أنواع النظرية وطابعها(تتمة)

ثالثا :أنواع النظريات

يمثل نوع النظرية الذي قمنا بمناقشته سابقا نموذج النظرية العلمية غير أن النظريات تختلف على نحو واضح في عدد من الخصائص الأخرى **على النحو التالي-:**

الرسمية وغير الرسمية:

فقد تكون النظرية من النوع العلمي والرسمي، ويقوم بناؤها على مجموعة مسلمات يعتمد عليها المنهج العلمي **أو قد تكون النظرية من النوع غير الرسمي** الذي يفتقر إلى بناء، وتعتمد على مسلمات ترتبط بالحياة اليومية.

وتميل النظرية الرياضية ونظرية العلوم الطبيعية إلى الاقتراب من النموذج الأول بينما تقع الفروض المفردة والأيديولوجية والتخمينات البحثية في الفئة الأخيرة.

الوصفية والتفسيرية:

وبالمثل قد تكون النظرية وصفية في مجملها وتفتقر إلى نموذج تفسيري أساسي بينما تركز الأخرى على وظيفة التفسير ويقوم بناؤها على هذا الأساس وعلى الرغم من أن النظرية الوصفية قد تشتمل ضمنيا على تفسير لكنها تعجز عن تقويمه وذلك لغياب النموذج القياسي أو عدم وضوحه.

الأيديولوجية والعلمية:

قد يكون سياق النظرية أيديولوجيا على نحو واضح أو قد تكون النظرية موجهة بالمنهج العلمي وتؤكد على صياغة الفروض التي يمكن اختبارها إمبريقيا.

إلا أن المنهج العلمي قد ينطوي على عناصر أيديولوجية أيضا ، فإنه من المهم تحديد الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها صاحب النظرية لكي نستطيع تقدير القيم التي تكمن خلف إسهامه النظري .وهكذا فليس هناك نظرية موضوعية في جملتها مهما كان يبدو هناك من موضوعية لأنها تشتمل أيضا على مضامين أيديولوجية معينة.

الموضوعية في مقابل الذاتية:

في مقابل تلك المعارف الموضوعية والخارجية، وهكذا قد يدعى أصحاب نظريات الظواهراتية النوع الأول من المعرفة تختلف النظريات أيضا من حيث الدرجة التي تدعي بها أن معرفتها ذاتية وحسية.

بينما يتمسك غيرهم من العلماء بالنوع الأخير .ويمكن في علم الاجتماع تجسيد هذا التمييز من خلال الإشارة إلى :إسهامات علماء الأثنوميثودلوجيا من ناحية وإسهامات علماء البنائية الوظيفية من ناحية أخرى.

5- الاستقرائية في مقابل الاستنباطية:

قد تميل النظرية إلى واحد من نموذجين رئيسيين آخرين فهي قد تحاول الانتقال من الخاص إلى العام . وفي علم الاجتماع يكتسب هذا النوع الطابع الاستقرائي أو الانتقال من العام إلى الخاص ويكتسب النوع الثاني الطابع الاستنباطي.

ومعظم النظريات تميل إلى الطابع الاستنباطي مستخدمة ما هو عام(مثل النسق الاجتماعي) باعتباره متغيرا مستقلا في نسق التفسير الخاص بها. وتميل النظريات السيكولوجية والسوسيولوجية من ناحية أخرى إلى أن تكون استقرائية في طابعها.

6- الوحدات الصغرى – الوحدات الكبرى:

وقد تختلف النظريات أيضا من حيث مستوى التحليل، فقد تركز على مستوى فردى محدد (الوحدات الصغرى) أو على مستوى عام ومجتمعي (الوحدات الكبرى) وتميل النظريات في علم الاجتماع إلى النوع الأخير بشكل واضح بينما تركز التفسيرات في علم النفس على المستوى الأول.

ولكل مستوى مميزاته الخاصة وأيضا مشكلاته، حيث يميل مستوى الوحدات الكبرى إلى أن يصبح أكثر عمومية عند تفسير الظواهر الفردية. بينما يعاني تحليل الوحدات الصغرى من المشكلات العكسية.

7- البنائية – الوظيفية:

تختلف كذلك النظرية في تركيزها على بعض العناصر في تفسيرها لبناء الظواهر، بينما تعنى الأخرى –أكثر بالأسلوب -الذي تظهر به أو تتغير هذه الظواهر في علم الاجتماع. فمثلا تعنى النظرية البنائية الوظيفية ببناء مجتمع معين في ضوء وظائفه الأساسية بينما تركز نظرية الصراع على ديناميكية هذا المجتمع.

8- الطبيعية – الاجتماعية:

إذ يستعين بعضها بالمتغيرات البيولوجية والطبيعية بينما يركز الأخرى على المتغيرات الاجتماعية. وفي النهاية تختلف النظريات من حيث أنواع المتغيرات التي تستعين بها كعوامل في التفسير

وهكذا يمكن العالم الاجتماعي تفسير السلوك الاجتماعي في ضوء الغرائز البيولوجية للإنسان (المدخل الطبيعي) أو في ضوء خصائص النسق الاجتماعي مثل تقسيم العمل، ومستوى التصنيع ودرجة النمو النظامي(التوجه النسقي) وهذان نوعان مختلفان في التفسير ولهما مضامين متباينة.

النظريات قد تختلف من حيث الخصائص، وتتضح هذه الاختلافات بالنظر إلى نظرية علم الاجتماع والتمييز العام الذي يجمع بين هذه الأبعاد الثمانية، حيث تميل النظريات إلى أن تكون رسمية وتفسيرية وعلمية واستقرائية وموضوعية أو غير رسمية وصفية وأيديولوجية واستنباطية وذاتية. في علم الاجتماع تعتبر الكثير من النظريات غير رسمية ووصفية وأيديولوجية وغير تفسيرية

رابعاً :طابع النظرية في علم الاجتماع

لاشك أنه يمكن لنا أن نستفيد من المناقشات السابقة المتعلقة باختلاف النظرية وبتوضيح التعريف المحدد لها وعناصرها واختلاف أنواعها في تحديد نظرية علم الاجتماع أو على الأقل التعرف على طابعها.

يمكن القول ان معظم نظريات علم الاجتماع لا تزيد عن كونها مجرد نماذج قياسية وصفية، وهي بمثابة انعكاس لموقف فكري وأيديولوجي وتاريخي محدد، لأنها نماذج نمت وظهرت على أيدي أفراد(فلاسفة وأكاديميين ومفكرين أو غيرهم)ولدوا ونشأوا في ظل هذا الموقف الاجتماعي المحدد.

يمكن اعتبار النظرية في علم الاجتماع مجموعة من القضايا المتعلقة بالمجتمع والظواهر الاجتماعية أو هي بعبارة أخرى تمثل مجموعة القضايا التي أمكن صياغتها في مصطلحات هذا العلم.

<u>باختصار : يمكن تعريف النظرية الاجتماعية بأنها:</u>

مجموعة قوانين يستنبط منها استنتاجات دقيقة تسهم في تفسير وتحليل سلوك وتفكير الناس من واقعها الفعلي.

مجموعة ملاحظات دقيقة ومفاهيم وقضايا مترابطة منطقياً ومتسلسلة بانتظام تعمل على تفسير وتحليل علاقة الأحداث الاجتماعية فيما بينها وتعكس قدرة المنظر على التنبؤ الاجتماعي.

وقد أثار هذا الطابع المميز لنظرية علم الاجتماع نوعا من الجدل والحوار بين المش تغلين بالتاريخ لهذه النظرية ، ومن أهمهم" نيسبت و ميلز و هومانز و زيتربرج" ، وحاول كل منهم أن يبدي ر أيه في الخصائص المميزة لنظرية علم الاجتماع

يرى كلاً من نيسبت و ميلر أن علم الاجتماع يعتبر بمثابة شكل من أشكال الفن التقليدي ونوع من الحرفة ، وعليه ف انه يقع على الطرف غير الرسمي..

أما هومانز وزيتربرج فكانا يزعمان أن علم الاجتماع يقع على الطرف الآخر(الرسمي)و أن نظرية هذا العلم تتسم بالطابع البديهي والمنطقي.

وكان لميرتون رأيا يتوسط بين الطرفين ويتمثل في نظرية المدى المتوسط الذي يحاول أن يصل أو يربط بين الفرد والبناء الاجتماعي من خلال مستوى الجماعة. وهكذا ظهرت هناك وجهات نظر مختلفة في تحديد نوع النظرية في علم الاجتماع، وهي وجهات نظر كانت تعتمد على تعريف كل منها للنظرية عموما ولنظرية علم الاجتماع على وجه الخصوص.

تنطوي نظرية علم الاجتماع على مسلمات متباينة ومجموعة مناهج مختلفة وأراء متعددة فيما يتعلق بأهداف النظرية ومن هنا ظهر أنها تمثل مجموعة من القوالب الفكرية أكثر مما تشكل مجموع منظورات متجانسة.

ولم تتجاوز معظم نظريات علم الاجتماع مرحلة النموذج القياسي (بمعنى الصياغة التصورية المحددة للظواهر.) ولم تفلح معظم نظريات علم الاجتماع مهما كان منظورها في أن تقترب من النوع المنطقي الذي أشار إليه هومانز(الرسمي)

وكانت هذه النماذج القياسية التي لها جذورها في سياق فكري ومجتمعي وشخصي معين، تستخدم في تفسير الظواهر الاجتماعية... وهكذا تختلف النماذج النظرية القياسية في علم الاجتماع.

ما هي مجموعة الظروف المجتمعية والفكرية والشخصية التي أثرت على نمو وتطور النظرية في علم الاجتماع؟

1- الظروف المجتمعية: نشأت نظرية علم الاجتماع استجابة لظروف مجتمعية خاصة بالثورات السياسية والتغير الاقتصادي ولآثار التصنيع وتطور العلم، وعليه ظهرت النماذج القياسية استجابة لتطورات مجتمعية **مثال :**أن النظرية العضوية نشأت استجابة إلى الثورة في أوروبا والتأكيد على اضطراب النظام الاجتماعي والضبط بينما تمثل البنائية الوظيفية استجابة إلى حاجات اقتصادية عرفتها أمريكا خلال عام 1930.

وقد ظهرت **نظرية الوحدات الكبرى** عموما استجابة لحاجات تكنولوجية واقتصادية للمجتمع، ثم تحول الاهتمام أخيرا إلى السبيرنيطيقا ونظرية الأنساق وهكذا فإن النموذج القياسي **البنائي الوظيفي والعضوي** قد ظهر أساسا استجابة إلى حاجة المجتمع إلى تدعيم أو تطوير نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي معين.

وقد ظهر النموذج الراديكالي المهتم بالصراع أساسا على يد أولئك الذين عاصروا الصراع السياسي والظلم، **وظهرت النظرية الماركسية** المبكرة تحت هذه الظروف **بينما ظهر** علم الاجتماع الراديكالي ونظرية الصراع الحديثة **في عام 1960 استجابة للوعي المتزايد بالآثار المحزنة لعمليات التصنيع ولالتزام علم الاجتماع بالمحافظة على الوضع الراهن.**

قد ينظر إلى النموذج القياسي **السوسيوسيكولوجي** وإلى السلوكية الاجتماعية على أنهما يعكسا التطور في النزعة السلوكية في العلم، **وظهور البراجماتية** والتأكيد على المنهج العلمي والتأكيد المصاحب على خصائص الفرد أكثر من العناية بخصائص المجتمع.

وتوضح الاستجابات- إلى حاجات التكنولوجيا الصناعية في صورة علم نفس صناعي وعلم اجتماع

–علاقة الفرد بالجماعة

وعلى النتائج الفردية للمجتمع البيروقراطي والتكنولوجي

وعلى المنهج العلمي (الأمبيريقية)

التأكيد المتزايد للمجتمع على النزعة البراجماتية(بمعنى الرأي القائل بأن الحقيقة هي المعرفة المفيدة)

وينظر إلى تأكيد علم الاجتماع المتزايد على النظرية السيكوسوسيولوجية والوحدات الصغرى على أنه استجابة إلى:

1- نظرية علم الاجتماع تمثل إذن :استجابة أساسية من جانب علم الاجتماع لمجموعة حاجات مجتمعية ولمجموعة محددة من الظروف والتأكيدات المعيارية وتشتمل هذه الظروف على حاجات اقتصادية وسياسية ومجتمعية وعلى معايشة للظلم وعلى نمو العلم باتجاه المنظور السيكوسوسيولوجي والوحدات الصغرى.

2- السياق الفكري: اسهمت مجموعة من العناصر الفكرية النامية في هذا العصر في تحديد نظرية علم الاجتماع وبخاصة تلك المجموعة من القيم التي تعكس مراحل متباينة من انتقال المجتمع وتحوله تجاه عملية التصنيع وهكذا تأثرت النظرية المبكرة بفلسفة حركة التنوير التي تؤكد على النزعة الطبيعية وعلى الرشد وعلى المماثلة العضوية.

وكانت الفروض المتعلقة بالطبيعة إ لإنسانية أحد دعامات **نظرية الصراع الماركسية** ، وكانت الصلة بين أنساق الفكر المبكرة مثل إليوتوبيا ولهوت العصور الوسطى وبين النظرية المبكرة في علم الاجتماع صلة واضحة.

ثم سيطرت روح **البرجماتية** والتطبيق المصاحب للمنهج العلمي على الموقف الفكري وخاصة في الوليات المتحدة وكانت النتيجة : **التحول نحو نظرية أكثر سيكوسسيولوجية مع الاهتمام بالوحدات الصغرى.**

وهكذا كان للبيئة الفكرية التي تحيط بأصحاب النظريات أثر ا واضحا على أعمالهم كما أثرت أيضا استجابة قرنائهم المفكرين وتشجيعهم ودعمهم وتأييدهم على تفكيرهم سواء كانت هذه البيئة مؤيدة أو ناقدة، مما نجم عنه أنماطا في التفكير جديدة ومتغيرة وكانت المشاركة مع مفكرين آخرين والدعم الأكاديمي والاقتصادي من جانب الجامعة كان له أهمية خاصة في إثارة أصحاب النظريات وفي نظرياتهم.

وهكذا أصبح علم الاجتماع جزء من نظام الجامعة وبرامجها وأخذ ينتشر من خلال دورياتها الأكاديمية وحقق نموا قويا مع إيقاظ البرجماتية العلمية التي تؤكد على النواحي الأمبيريقية أكثر من عنايتها بالنواحي النظرية فظهرت النظرية المبكرة في سياق فكري تميز باهتمامه بعملية التنظير المجردة والفلسفية

3- سياق السير الشخصية: ان وضع الفرد في البناء الاجتماعي يترك أثرا قويا عليه وعلى إدراكه وتصوره للمجتمع وبالتالي على نوع نظرية علم الاجتماع التي يعمل على بلورتها. لقد انحدر أصحاب نظريات البنائية الوظيفية العضوية من أصول الطبقة العليا، حيث يمثل الضبط الاجتماعي وتنمية المجتمع قضايا محورية على هذه المستويات.

وكان أصحاب نظريات الصراع أكثر تعرضا للحرمان والظلم وبالتالي كانوا يفهمون المجتمع ويرونه من خلال مصطلحات الصراع والتنافس ، وهذا يعنى أنه كانت لهم خبرات مجتمعية مغايرة.

و أخير إ وبما أن الروح البرجماتية أكثر وضوحا بين أبناء الطبقة الوسطى، فتوصف نظريات السلوكيات الاجتماعية وإلسيكوسوسيولوجية بأ ن مصدرها هذا القطاع من أبناء المجتمع طالما أن علم الاجتماع المعاصر يميل للتعبير عن نظم الطبقة الوسطى.

ويحدد الوضع الاجتماعي لصاحب النظرية في المجتمع وجهة نظره السوسيولوجية عموما وتؤثر خبرات أخرى مثل العلاقات الشخصية والاتصال بباحثين آخرين في فكر أصحاب نظريات معينة يبدو أن المستوى الطبقي الاجتماعي للفرد له تأثيره في هذا الصدد عموما.

وهكذا أوضحنا عددا من الظروف الشخصية والفكرية والمجتمعية وأثرها على تطور نماذج قياسية رئيسية في نظرية علم الاجتماع

ورأينا أن النموذج القياسي يمثل استجابة صاحب النظرية لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة على النحو التالي:

إذ تمثل البنائية الوظيفية العضوية عموما استجابة أفراد معينة من **الطبقة العليا** لحاجات اجتماعية واقتصادية وسياسية متأثرين بروح فلسفة التنوير ويميل **النموذج الراديكالي** المهتم بالصراع من ناحية أخرى إلى التأثر بخبرة **أفراد من الطبقة الدنيا** الذين عانوا من الظلم السياسي والاقتصادي.

أخير إ قد ينظر إلى **نموذج إلسوسيوسيكولوجي أو السلوكية الاجتماعية** على أنه استجابة البرجمتين **من الطبقة الوسطى** إلى الحاجات الملموسة للمجتمع الصناعي والتحليل على مستوى الوحدة الصغرى.

وبالختام تمثل نظرية علم الاجتماع الاستجابة لمجموعة معينة من الأكاديميين (ليسوا بالضرورة من علماء الاجتماع)للحاجات الملموسة للمجتمع في سياق يجمع بين مجموعة محددة من القيم الفكرية والخبرات المجتمعية ولذلك كلما طر أ تغير على المجتمع وكذلك الحاجات الملموسة يطر أ على نظرية علم الاجتماع تتغير أيضا ، وبخاصة أنها تأثرت بشكل متزايد بالبرجماتية والمنهج العلمي.

وتمثل نظرية علم الاجتماع بهذه الطريقة استجابة الباحث للمجتمع في مرحلة معينة من مراحل تطوره عندما يحاول تفسير هذا التطور وتقديم الحلول لمشكلاته الحيوية ولهذا تعد نظرية علم الاجتماع بمثابة استجابة فكرية مستمرة لواقع اجتماعي ملموس أكثر منها نشاط مجرد.

المحاضرة الرابعة

النظرية والبحث في علم الاجتماع

تمهيد:

على الرغم من أن البعض قد استطاع أن يميز في تاريخ علم الاجتماع بين مجموعتين من علماء الاجتماع:

مجموعة العلماء الذين كانوا يحاولون قبل كل شيء التوصل إلى التعميمات ويبحثون عن الطرق التي تمكنهم من صياغة القوانين السوسيولوجية مغفلين أهمية جمع الملاحظات والبرهنة على هذه التعميمات والقوانين مجموعة أخرى من العلماء الذين يغرقون في إجراء البحوث الأمبريقية دون أن يهتموا بالربط بين وقائع هذه البحوث وحتى تفسير حدوثها.

إذ لم تعد ترى اليوم نموذج عالم الاجتماع الذي يهتم فقط بالقوالب الفكرية الخالصة دون إدراك صلتها بالواقع إلا أن التطورات التي طرأت على علم الاجتماع خلال السنوات الأخيرة تؤكد لنا أن هذه الاتجاهات قد أفل نجمها كما لم نعد نرى نموذج عالم الاجتماع الذي يقع فريسة الوقائع ويغرق في الإحصاءات دون أن يهتم بتفسير هذه الوقائع والبحث عن دلالتها النظرية.

وإنما أخذ المنظّر يشارك زميله الباحث في العمل، وأخذوا يتبادلون أطراف الحديث فيما بينهم بل أخذ عالم الاجتماع الواحد يتحدث إلى نفسه طالما كان اهتمامه ينصرف إلى النظرية بقدر انصرافه إلى البحث، ولقد ساعد كل هذا على تأكيد العلاقة بين النظرية والبحث، وإدراك الطبيعة التفاعلية لهذه العلاقة.

بمعنى أن هذه العلاقة لا تسير في اتجاه واحد من النظرية إلى البحث أو العكس فقط، وإنما تسير في اتجاهين متضادين

- يشير الاتجاه الأول إلى أثر النظرية في البحث
- ويشير الاتجاه الثاني إلى أثر البحث في النظرية.

أولاً: أثر النظرية في البحث

تؤثر النظرية السوسيولوجية في البحث من عدة وجوه:

1- إذ تعمل النظرية على توجيه دوائر البحث نحو الموضوعات المثمرة
2- وتضفي المغزى والدلالة على النتائج الغافلة
3- كما تساعد توجيهاتها وتعميماتها ومفاهيمها على تنمية وتطوير البحث من ناحية أخرى.

1- توجيه النظرية للبحث نحو الموضوعات المثيرة.

تحدد النظرية مسار واتجاه البحث وتعمل على توجيهه نحو تناول الموضوعات التي يحتمل أن تكون أكثر إثمارا من غيرها والمثال البارز في تراث علم الاجتماع الذي يوضح هذه الوظيفة الأساسية للنظرية بالنسبة للبحث هو مثال نظرية (كوهن)

حيث أن **نظرية" كوهن** "التي قدمها لتفسير **تكوين الثقافة الفرعية الإنحرافية** في بعض قطاعات المجتمع الأمريكي، وهي نظرية أقامها بناء على نتائج البحوث السابقة **حول السلوك الإنحرافي** وأسسها من خبراته الخاصة بسلوك عصابات الجانحين، واعتمد فيها على بعض النظريات الأخرى في **ميدان علم النفس والاجتماع**، ولقد رتب كوهن قضايا نظريته على النحو التالي-:

أ- يهدف كل سلوك إنساني إلى حل بعض المشكلات.

ب- بالرغم من أن لكل أعضاء المجتمع مشكلات يعانون منها إلا أن المشكلات من الأنواع المتباينة لا توزع بطريقة عشوائية بين أعضاء المجتمع، وإنما يحتمل أن يواجه أعضاء الطبقة العاملة أنواعاً معينة من المشكلات بدرجة تفوق ما يواجه أعضاء طبقة الموظفين، كما يواجه صغار السن هذه المشكلات بمعدل يفوق ما يواجه الكبار، ويواجه الذكور مشكلات تفوق ما يواجهه الإناث ....وهكذا.

ج- يعتبر وجود عدد من الأفراد **يتفاعل** بعضهم مع البعض الآخر ولهم نفس مشاكل التكيف **شرطا أساسيا لتكوين أنماط ثقافية جديدة.**

د- ويشترط **أساسا لتكيف الفرد أن يرضى** عنه زملاؤه الآخرين الذين تكون لهم أهمية من وجهة نظره.

ه- ولكنه **من الصعب أن يتحقق للكثير من أبناء الطبقة العاملة مثل هذا الشرط حيث تستخدم معايير الطبقة الوسطى في الحكم على أوجه نشاط** هؤلاء الأبناء في المدارس ، ومراكز الترفيه وغيرها من مجالات النشاط في المجتمع الأكبر غير أنهم لا يكونوا مهيئين لمجارات مثل هذه المعايير.

و- وتتغلب الثقافة الفرعية الإنحرافية على هذه المشكلة عن طريق تنمية معايير يستطيع هؤلاء الأبناء مجاراتها.

ز- وبما أن معايير الطبقة الوسطى تغرس جزئيا في نفوس معظم أبناء الطبقة العاملة، فإنه **يترتب على ذلك نشوب الصراع بين هذه المعايير ومعايير الثقافة الفرعية للعصابات الجانحة.**

ح- ولحل هذا الصراع ترفض الثقافة الفرعية الإنحرافية معايير الطبقة الوسطى بكل رموزها ومكانتها، وترفع من شأن معايير العصابة الجانحة.

ويعلق كوهن على هذه القضايا النظرية قائلاً : أنها تقترح **البحث عن وقائع وبيانات أكثر دقة ووضوحاً** من نوع مغاير بعض الشيء لتلك الوقائع والبيانات التي يتم جمعها عادة من البحوث التي تجرى عن السلوك الإنحرافي.

وذلك لأنه إذا كانت هذه البحوث الأخيرة تعتمد على الإحصاءات الرسمية التي تعدها الهيئات الاجتماعية فإن هذه **الإحصاءات والتقارير لا تعكس كل الأفعال الإنحرافية التي تقع بالفعل.** كما أنها **لا تقدم لنا صورة دقيقة** وغير متحيزة عن كيفية **توزيع حالات الانحراف على القطاعات المتباينة للمجتمع.**

ومن أجل هذا **يقترح كوهن في ضوء نظريته** ضرورة أن يبدأ البحث **باختيار عينة عشوائية من جمهور الأحداث (المنحرفين وغير المنحرفين)في منطقة معينة.**

ومن خلال المقابلات الشخصية الواعية والوثيقة يسهل تحديد الأفعال الإنحرافية التي تقع بالفعل بين أفراد هذه العينة، ويضيف كوهن إلى ما سبق أن نظريته تقترح فضلاً عن الاهتمام بدراسة علاقة تصدع الأسرة والشخصية والحي وما إليها بضرورة:

1- توفير الوقائع حول السلوك المنحرف نفسه،
2- حول الطبيعة الفردية والجمعية للنشاط الجانح
3- حول الكيفية التي تختلف فيها الانحرافات في المواقف الفردية والجماعية.

بمعنى الاهتمام بدراسة بناء هذه الجماعات وديناميا تها وتاريخها وثقافتها الفرعية.

وهكذا يوضح لنا مثال نظرية كوهن كيف تعمل النظرية على توجيه البحث نحو موضوعات يحتمل أن تكون أكثر إثمارا من غيرها من الموضوعات التي اعتاد البحث في نفس مجال هذه النظرية أن يطرقها.

2- تضفي النظرية على نتائج البحث دلالة ومغزى.

- إذ تعمل النظرية على:

- تسهيل إدراك النتائج التي يصل إليها البحث

- لأن البحوث الإحصائية قد توصلنا إلى نتيجة تبين أن عصابات الجانحين تشيع بنسبة اكبر بين أحياء الطبقة العاملة منها بين أحياء الطبقة المتوسطة فإن هذه **النتيجة في حد ذاتها لا تضيف الكثير إلى فهمنا للسلوك الإنحرافي.**

لكن النظرية تساعد على إدراك مغزى الارتباط بين عصابات الجانحين وأحياء الطبقة العاملة. وهذا يضفي دلالة واضحة على هذه النتيجة.

إن ربط هذه النتيجة بمفهوم أكثر عمومية يساعد على التنبؤ بحدوث هذه الظاهرة أو تغيرها في المس تقبل إلى حد نطمئن إليه أكثر من مجرد الاعتماد على النتائج في حد ذاتها.

الأمر الذي يجعل بالإمكان وضع الحلول واقتراح خطوات الحد من الانحراف(مثل زيادة خدمات الترفيه وتدعيم الخدمات الترفيهية والاستشارية لطلبة المدارس، وزيادة الرقابة على الكتب، ومد أباء المنحرفين بالإعانات المادية، وزيادة عدد رجال الشرطة في المناطق التي يتزايد فيها معدل الانحراف.)

3- تنطوي النظرية على توجيهات عامة تمدنا بالسياق الذي يجري البحث في نطاقه.

إذ تشتمل مثل هذه التوجيهات على المسلمات المتعلقة بنماذج المتغيرات التي يجب أن نأخذها في الاعتبار أكثر مما تشير إلى العلاقات القائمة بين هذه المتغيرات، ومن أمثلة هذه التوجيهات ما ذهب إليه" **دور كهايم** "قائلاً : **أنه يجب البحث عن سبب الحقيقة الاجتماعية بين الحقائق الاجتماعية الأخرى التي تسبقها.**

وأن(المعايير المفروضة هي العامل الاجتماعي الذي يوجه السلوك). وكذلك توجيه" زنانيكي" و"سوروكين": (ان المجتمع باعتباره نسقا متكاملا يتكون من اجزاء متساندة وظيفيا ومرتبطة فيما بينهما).

ورغم أن هذه **التوجيهات** لا تحدد فروضا معينة إلا أنها **تقوم بوظيفة أساسية هي أنها تمدنا بسياق للبحث يسهل عملية التوصل إلى هذه الفروض** إلى حد أن الباحث الذي يتجاهل نظام الحقائق المتضمنة في هذه التوجيهات يعرض نفسه للخطر.

ومن أبرز الأمثلة على دور التوجيهات النظرية في توفير سياق للبحث محاولة" مالينوفسكى "إعادة اختبار الفرض الفرويدى المتعلق بعقدة أوديب، وذلك **في ضوء التوجيه السوسيولوجي الذي يعتبر أن تكوين العاطفة أمراً يتأثر بالبناء الاجتماعي.**

وقد ساعده هذا التوجيه **على الكشف عن أن حقيقة هذه العقدة السيكولوجية في علاقاتها بنسق علاقات المكانة في مجتمع بدائي مختلف في بنائه عن ذلك المجتمع الأوروبي الغربي،** وذلك من خلال الإفادة من مجموعة من الفروض غير الناجمة عن هذا التوجيه ، وإن كانت كلها تتفق معه.

•**حيث يسهل هذا التوجيه عملية تدفق الفروض** الواحد تلو الآخر في تعاقب مستمر والتي أثمر اختبارها في البحث عن حقائق سوسيولوجية هامة.

4- توجيه مفاهيم النظرية وتصوراتها عملية جمع وتحليل معطيات البحث.

هناك **اعتقاد خاطئ بأن النظرية تتكون من مجموعة مفاهيم،** غير أن **عملية صياغة المفاهيم والتحليل التصوري** ليست إلا جانباً جوهريا في أي عمل نظري، إذن ليست مجموعة مفاهيم :المكانة والدور والمجتمع المحلي والتفاعل الاجتماعي والمسافة الاجتماعية والأنومي، **إلا جزءا في بناء نسق النظرية**.

المتغيرات التي ينبغي أن يتناولها البحث، والقضايا المرتبطة منطقيا فيما بينها، واختبار المفاهيم للتوصل إلى العلاقات وتحديدها، كل هذا يعد أمرا حاسما بالنسبة للبحث، لأنها توجه عملية جمع وتحليل المعطيات بدقة وإحكام ومن ثم تقلل من احتمالات خطأ النتائج الأمبريقية التي تتجمع في ضوء هذه المفاهيم.

•وتعتبر **محاولة" سذرلاند "**لإعادة النظر في **المفهوم الدارج للجريمة** مثالاً بناءاً على الكيفية التي تحدث بها توضيح المفهوم مراجعة للفروض المتعلقة بالبيانات التي تم جمعها في ضوء هذا المفهوم.

وقد توصل**" سذرلاند "بعد الدراسة والبحث في علم الجريمة** إلى أن مخالفات القانون الجنائي التي يرتكبها أعضاء الطبقات الاجتماعية العديدة يتم تسجيلها بطريقة واحدة في الإحصاءات الجنائية.

تؤثر مفاهيم النظرية وتصوراتها في:

- ❖ عملية جمع وتحليل معطيات البحث.
- ❖ حل التناقضات الملاحظة بين النتائج
- ❖ توجيه فكر الباحث وسلوكه وإدراكاته
- ❖ تحديد الموقف الذي يستجيب له الباحث
- ❖ تحديد المؤشرات التي يمكن أن يهتم البحث بملاحظتها في الواقع

وهذا ما حاوله" **تولمان "و" هل "عندما قاما بتحديد مؤشرات لمتغيرات** مثل التماسك الاجتماعي ولغيرها من المفاهيم والأبنية الفرضية التي يمكن ملاحظتها في الواقع وتجد تدعيما لها من جانب النظرية.

ثانياً :أثر البحث في النظرية.

تذخر دوريات ومراجع علم الاجتماع بالمناقشات التي تركز على **بيان دور النظرية في البحث وتوضيح وظيفة النظرية في توجيه البحث واستمراره،** سنواصل هذه المناقشات ونتناول أثر البحث في النظرية. ومن الواضح أن أثر البحث في النظرية لا يقف عند الدور السلبي المتعلق بالتحقق من فروض النظرية واختبارها، وإنما يتجاوزه إلى **دور ايجابي آخر له أربعة وظائف حيث يمكن للبحث أن يسهم في بدأ النظرية وفى إعادة صياغتها وتعديلها وتوضيحها.**

1- يسهم البحث في تطوير النظرية

إذا كان لدينا نظرية قد حبكت صياغتها حول ما سوف يحدث في مواقف متباينة وفى ظل ظروف محددة ، فإنه بالإمكان أن نستخلص **استنتاجات تأخذ صورة فروض توجه البحث،** وإذا أمكن **إثبات صحة هذه الفروض** عن طريق تجارب صممت لهذا الغرض، **فإن هذا البحث يسهم في التحقق من بناء النظرية** في جملتها.

اما **إذا لم يتمكن البحث من البرهنة على صحة الفروض** فإنه يكون من الضروري **إعادة اختبار النظرية** مرة ثانية ، والنظر فيما إذا كان من الواجب استبعادها لأنها غير صالحة أو ما إذا كان ينبغي إدخال بعض التعديلات على بنائها، **ثم استخلاص استنتاجات منها وصياغتها في صورة فروض تخضع للبحث، للتأكد من أن هذه النظرية المعدلة تجد ما يدعمها في الواقع.**

وهكذا لا يسهم البحث فقط في **التحقق من فروض النظرية** وإنما يسهم أيضاً في **تطوير أو تعديل النظرية** والواقع أن إسهامات البحث في تطوير النظرية قد تكون مقصودة ومخطط لها، أو قد تكون عرضية غير مخطط لها كما يلي-:

أ -التخطيط لتطوير النظرية:

•أن عالم الاجتماع الذي يشرع في تطوير بعض جوانب النظرية يتبع أحد طريقين أو كلاهما، إما أن يعيد النظر في الدراسات القائمة أو يختبرها ثانية، **أو قد يضع مشروع خطة لبرنامج من الدراسات تركز على المشكلة التي يهتم بها،** ويراعى الارتباط بين نتائج هذه الدراسات . بمعنى آخر:

•لا يمكن في كلا الحالتين أن يبدأ هذا العمل من نقطة لا تستند إلى دراسات سابقة أو صياغات نظرية أخرى أو ملاحظات خاصة، **وإنما يبدأ عادة من تصورات معينة واحتمالات محددة يكونها في ذهنه لصياغات بديلة** ويحاول إجراء اختباره المقصود للدراسات الموجودة، أو وضع خطة للدراسات المقترحة التي لابد من تنفيذها في ضوء هذه الصياغات البديلة القابلة للتغير بدورها.

هناك مثال يوضح **كيفية التخطيط للنظرية** نستمده من كتاب (ميرتون و روسى)وهو باسم :**إسهامات في نظرية سلوك الجماعة المرجعية،** حيث كانت المادة التي أعادا النظر فيها تشتمل على بحوث الجماعات الصغيرة المتضمنة في **كتاب الجندي الأمريكي** الذي أعده(ستوفر) وآخرون عام 1949 م.

ويوجد مثال آخر على التخطيط لتطوير النظرية من خلال وضع **مشروع خطة لبرنامج** من البحوث التي تتركز على مشكلة معينة نستخلصه من برنامج بحوث الاتصال الذي نظمته جامعة(ييل) من أجل **تطوير نظرية الاتصال الإقناعي.**

ب -الصدفة في تطوير النظرية:

•يسهم البحث في تطوير النظرية عن طريق الصدفة والاتفاق وعلى نحو لم يخطط له سلفاً، وذلك من خلال ملاحظة وقائع غير عادية أو غير متوقعة أو إستراتيجية يفيد في تقديم فروض نظرية جديدة أو في توسيع نطاق نظرية قائمة.

ومثال على ذلك دراسة(ميرتون)عن التنظيم الاجتماعي لمدينة (كرافتاون)الأمريكية حيث سلط الضوء على **الأنواع الثلاثة من الملاحظات غير العادية وغير المتوقعة والإستراتيجية** وأثرها في تطوير النظرية على نحو لم يخطط له مسبقاً.

•وهكذا تكتسب الملاحظة غير العادية وغير المتوقعة صفة الإستراتيجية لأنها تنسق مع مضامين النظرية السوسيولوجية التي سبق أن صاغها ماركس بقوله **أن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعي الأفراد، وعبر عنها دوركايم بقوله أن التصورات الجمعية تعكس الواقع الاجتماعي.**

•**العوامل الاجتماعية تعتبر بمثابة الإطار للإدراك، وأوضحتها سوسيولوجيا المعرفة عندما ذهبت إلى أن الوضع الاجتماعي يحدد الاتجاهات النظرية والأفكار** ، كما أن هذه الملاحظة تعمل على توسيع نطاق النظرية لأنها تضيف إليها قضية جديدة مؤداها أن الإدراك أو الاعتقاد يعد نتاجا للبناء الاجتماعي.

2- يسهم البحث في إعادة صياغة النظرية.

يعمل البحث على إعادة صياغة النظرية وتوسيع نطاقها عن طريق الملاحظة المتكررة للوقائع التي لم تكن متضمنة في الإطار التصوري والتي قليل ما يهتم بها في التحليل، ويصعب حصر الأمثلة التي يمتلأ بها علم الاجتماع والتي توضح الكيفية التي يسهم بها البحث في إعادة صياغة النظرية، ولكن في مقدمة هذه الأمثلة ، يذكر سلسلة نتائج البحث الجديدة التي أدت مالينوفسكى إلى أن يعيد صياغة نظرية السحر.

3- يسهم البحث في إعادة تحديد محور اهتمام النظرية.

•عندما يبتكر البحث أساليب وإجراءات جديدة يستعين بها في تجميع الوقائع وتحليلها، فإنه قد تغير محور اهتمام النظرية نحو البحث مرة ثانية، ونحو مجالات تزيد من توافر البيانات والوقائع حول هذه المحاور التي تغيرت نحوها النظرية.

والأمثلة على **إسهام البحث في تغيير محور اهتمام النظرية** عديدة في تراث علم الاجتماع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما ترتب على **ابتكار أساليب تحليل المضمون والجداول والاستبارات المركزة وغيرها.**

واستخدامها في البحث وتراكم وقائع وبيانات كثيرة وجديدة غيرت من اهتمام نظرية الدعاية نحو **إمكانية استخدام الدعاية كوسيلة للضبط الاجتماعي والتحكم في ظروف المجتمع العالمي** المتغيرة بأنساقه الأيديولوجية وتكنولوجيته الحديثة الخاصة بالاتصال بالجماهير واستخدامها كسلاح في الحرب الدائرة بينها. وما ترتب على الاستفادة من الأساليب الإسقاطية الجديدة ، وتفهم الموضوع وتكملة القصة من وقائع وبيانات إعادة تحديد محور الاهتمام في نظرية الطابع وتكوين الشخصية في علاقتها بالبناء الاجتماعي.

وما ترتب على ابتكار مورينو للأساليب السوسيومترية من إحياء الاهتمام بنظرية العلاقات الشخصية المتبادلة وتغيير محور اهتمام النظرية نحو الجماعات الأولية ، والأبنية الاجتماعية غير الرسمية التي تتوسط بين الفرد والتنظيمات الرسمية الكبيرة والذي وجد صدى واسع في التراث المتعلق بدور الجماعة غير الرسمية في الأنساق الاجتماعية للمصنع على سبيل المثال. ولكن مع كل هذه الأمثلة التي توضح **أثر البحث في تغيير محور اهتمام النظرية** ينبغي ألا يغيب عن ذهننا أن هذا الأثر **يتوقف على أن تكون الوقائع السوسيولوجية التي تُوصِلُنا إليها أساليب البحث الجديدة داخلة في إطار مقولات وثيقة الصلة بالنظرية.**

4- يسهم البحث في توضيح مفاهيم النظرية.

ينصرف أكبر جانب في ذلك العمل الذي يعرف باسم التنظير نحو الاهتمام **بتوضيح مفاهيم النظرية.** ويتحقق إسهام البحث في توضيح مفاهيم النظرية عن طريق تحديد مؤشرات للمتغيرات موضوع الاهتمام.

المحاضرة الخامسة

تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع

تمهيد:

تتعدد نظريات علم الاجتماع وتتنوع أطرها المرجعية حسب ارتباطها بأسماء أصحابها ويشكل هذا الكم الضخم من إسهامات علماء الاجتماع في نطاق النظرية تراثاً نظرياً يتطلب البحث عن وسيلة مناسبة لاستيعاب هذا التراث النظري في علم الاجتماع.

أولا: معنى التصنيف وأهميته:

التصنيف هو عملية اختزال أو إعادة ترتيب أو تنظيم لمجموعة مبعثرة من العناصر عن طريق الاستعانة ببعض الأساليب الفنية ووضع هذه الفئات البعيدة عن بعضها في فئات محدودة وواضحة.

التصنيف هو عملية وصف مختصرة لمجموعة لا حصر لها من العناصر وردّها إلى مجموعة أكثر تحديداً.

شروط التصنيف:

- أن تشتق مجموعة الفئات المحددة والواضحة من فكرة أو أساس تصنيفي واحد
- أن تكون مجموعة الفئات شاملة لكل عنصر من عناصر الموضوع المراد تصنيفه مكانا في المجموعة.
- أن تكون فئات المجموعة الواحدة مانعة للتبادل فيما بينها.

ثانيا: نماذج تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع:

لعل ما قدمه(والتر والاس -وبيرس كوهن -وهلمت فاجنر)من محاولات في تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع يعد من أشهر هذه المحاولات، ويمكن عرض أهم هذه النماذج من التصنيف كما يلي-:

1- تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع **إلى اتجاهات.**
2- تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع **في ضوء تفسير النظام الاجتماعي.**
3- تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع **على ضوء طابع العلم وأهدافه الأساسية.**

(1) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع إلى اتجاهات :

قدم **والتر والاس** تصنيفا لتراث النظرية في علم الاجتماع يشتمل على **ثمان اتجاهات** هي :الاتجاه الأيكولوجي والديموجرافي والمادي والسيكولوجي والتكنولوجي والبنائي والتفاعلي الرمزي والفعل الاجتماعي.

أ -الاتجاه الأيكولوجي
ب -الاتجاه الديموجرافي
ج -الاتجاه المادي
د -الاتجاه السيكولوجي
ه - الاتجاه التكنولوجي
و -الاتجاهات البنائية الاجتماعية(الوظيفية -التبادلية – الصراع)
ز -التفاعلية الرمزية
ح -نظريتي الفعل الاجتماعي والملزمات الوظيفية

يجمع كل اتجاه منها بين نظريات عدد كبير من العلماء الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة وظهروا في فترات تاريخية متباعدة وذلك في ضوء **فكرة أساسية تجمع بينهم وتجعلهم يفسرون كل ما هو اجتماعي على نحو معين** ، وتنعكس هذه الفكرة في كتاباتهم.

أ -الاتجاه الأيكولوجي:

يفسر التعريف الأيكولوجي الظواهر الاجتماعية على **أساس ظروف خارجية مفروضة عليها، وفى ضوء الخصائص البيئية للمشاركين وهي خصائص تتميز بأنها غير بشرية في الغالب.**

والثقافة هنا تكّون طريقة لتطوير أساليب فنية تساعد السكان على الاستمرار في البيئة.

عرف(**كوين**)الأيكولوجيا البشرية بأنها دراسة العلاقات بين البشر التي تتأثر بالموارد المحدودة للبيئة بمعنى أننا نصف الدراسة السوسيولوجية بأنها أيكولوجية عندما تستخدم المؤثرات البيئية كأساس ومبادئ للتفسير.

ويؤكد(**دنكن**)أن النظم الاجتماعية بوصفها مبادئ أو أسس يعتمد عليها التفسير، لا تستمر على ما هي عليه دائماً ، ولكنها تتعدد وتتغير باستمرار لكي تتوافق مع الظروف البيئية ، بل أن هذا التعديل ذاته إما أن يرجع إلى تغير في البيئة أو إلى نمو وتطور تكنولوجي.

أما(**بارك**)فقد ذهب إلى أن النظم الأيكولوجية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية ترتبط فيما بينها على شكل تسلسل أو تدرج هرمي قاعدته النظام الأيكولوجي وقمته النظام الأخلاقي.

ب -الاتجاه الديموجرافي:

فرق(هاوزر و دنكن)بين **استخدامين لمصطلح الديموجرافيا(:ضيق- واسع)**

" **التحليل الديموجرافي** يقتصر على دراسة مكونات التباين السكاني وتغيره .أي تهتم الدراسات السكانية بمتغيرات السكان، وأيضاً بالعلاقات بين متغيرات السكان ومتغيرات أخرى اجتماعية -اقتصادية - سياسية بيولوجية – نشوئية وجغرافية.. الخ.

إدراك الديموجرافية

- **من منظور ضيق :**فهي مرادفة للتحليل الديموجرافي
- **من منظور واسع :**فهي تتضمن التحليل الديموجرافي

وهنا نهتم بالتعريف الواسع للديموجرافيا الذي يشير الى الاتجاه الديمو جرافي

فهو يقدم تفسيرين متميزين للظواهر الاجتماعية :باعتبارها تتأثر بعدد أو حجم المشاركين فيها، وبالتغيرات التي تطرأ على هذا الحجم نتيجة معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة

ومن المسلم به أن فكرة تأثير حجم السكان على طبيعة الظواهر الاجتماعية فكرة قديمة في علم الاجتماع ، فقد أشار إليها كل من (ماتس وزيمل ودور كايم.)

وهكذا يمكن القول أن الاتجاه الديموجرافي يقدم تفسيرات ترتكز على الخصائص البيئية للمشاركين باعتبار أن هذه البيئة تنطوي على أعداد معينة للسكان.

الاتجاه الديموجرافي **يكشف عن العلاقات الموضوعية التي تظهر في عمليات :** التحضر والإنتاج الاقتصادي والأنساق السياسية والأنساق التربوية، والأنماط الذاتية للسلوك مثل القيم الثقافية.

ج -الاتجاه المادي:

حدد(**ماركس وانجلز**)جوهر التفسير المادي بقولهما : أن الحقيقة التاريخية الأولى هي إنتاج وسائل الحاجات الأساسية: أي إنتاج الحياة المادية ذاتها.

وتوضح عبارات(ماركس وانجلز)الواردة في مؤلفهما **إسهامات في نقد الاقتصاد السياسي والأيديولوجية الألمانية**، الأولوية التي منحها كل منهما للبناء الاقتصادي للمجتمع باعتبار أنه يشبع الحاجات الفسيولوجية للإنسان من مأكل ومشرب وملبس ومأوى.

- **الاتجاه المادي** يؤكد على الطبيعة السيكولوجية وحاجات الإنسان في تفسيرها للظواهر الاجتماعية
- **الاتجاه الأيكولوجي** يميل إلى تأكيد البيئة اللاإنسانية
- **الاتجاه الديموجرافي** يحاول إثبات أثر البيئة الإنسانية.

د -الاتجاه السيكولوجي:

يظهر التأكيد على أهمية المتغيرات السيكولوجية في تفسير **مقولة" الاجتماعي "**واضحاً في **كتابات جورج هومانز** ، إذ أن الجماعة في رأيه تحتاج إلى **تدعيم التعاون ومجموعة من الأنشطة وإطار محدد للتفاعل** بين الأعضاء لكي تحقق استمرارها.

وقد أكد **هومانز** في كتابه عن **السلوك الاجتماعي** أهمية الدوافع النفسية المفروضة على الجماعات في تفسير بناء الجماعة : النشاط والتفاعل والمعايير والعواطف التي تنشأ عما هو اجتماعي وهكذا يركز هومانز اهتماماته حول أشكال السلوك الاجتماعي، التي تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات.

ه - الاتجاه التكنولوجي:

ويمثل هذا الاتجاه طرفين : **الأول هو(وليم أجبرن)** صاحب نظرية التخلف الثقافي، حينما تبنى وجهة نظر تركز أساسا على **التكنولوجيا أو الثقافة المادية،** التي تشكل قوى دافعة للتغير الاجتماعي.

والتغير في الجوانب المادية يسير بمعدلات أسرع بكثير من تغير الجوانب اللامادية للثقافة، الأمر الذي ينشأ عنه التخلف الثقافي.

والثاني :هو كتاب كوترل الطاقة والمجتمع (1955) ، الذي ذهب فيه إلى أن **التكنولوجيا مسئولة عن تحديد الطاقة المتاحة لدى الإنسان ،** وهذه الطاقة تحدد ما يستطيع أن يفعله وما يريد أن يحققه في المستقبل.

و -الاتجاهات البنائية الاجتماعية(الوظيفية -التبادلية – الصراع:)

تشترك النظريات البنائية في خاصية واحدة وهي تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال الرجوع إلى المراكز الاجتماعية المقررة للمشاركين، وهي **تتميز عن الاتجاه التكنولوجي** من حيث أنها تهتم بالأشياء التي يطورها المشاركون الاجتماعيون خلال علاقاتهم المتبادلة بينما الأخيرة تهتم بالمخترعات المادية وما تحدثه من نتائج في سلوك أعضاء الجماعات المختلفة.

وهناك على الأقل ثلاث وجهات نظر بنائية اجتماعية:

- **الأولى** تمثلها أعمال(روبرت ميرتون و كنجزلى دافيز وغيرهما) وتعرف باسم **البنائية الوظيفية**
- **والثانية** تمثلها دراسات(ثبوت وكيلى و بلاو)وتعرف باسم **البنائية التبادلية.**
- أما **الثالثة** فتمثلها أعمال(كوزر ودهرندورف)ويمكن أن نطلق عليها **الاتجاه البنائي في دراسة الصراع**

ونستطيع أن نعرض للأفكار الأساسية التي تتضمنها هذه الاتجاهات على النحو التالي-:

-البنائية الوظيفية:

ينسب هذا الاتجاه إلى(روبرت ميرتون و كنجزلى دافيز .)ومفاده أنه لتفسير ظاهرة اجتماعية معينة لابد من البحث عن وظيفتها أي النتائج المترتب عليها بالنسبة للنسق الاجتماعي الأكبر الذي تمثل جزءاً منه.

ومحور اهتمام البنائية الوظيفية هو تفسير البيانات عن طريق الكشف عن نتائجها بالنسبة للبناءات الكبرى التي تضمنها .أي تأويل الظواهر في ضوء الصلات المتبادلة بينها من جهة وبين المجتمعات الكلية من جهة أخرى .أي التأكيد على علاقة الاعتماد بين الكل وأجزائه وبالعكس.

-البنائية التبادلية:

بينما تميل البنائية الوظيفية إلى التركيز على جانب واحد فقط للعلاقة بين متغيرين(أ ، ب)نجد أن مفهوم التبادل يسمح **بتحليل كافة أنماط التفاعل المتوقعة بين هذين المتغيرين.**

فإن التبادلية تشير إلى ضرورة بحث كلا الجانبين، ويلاحظ **جولدنر** أن مفهوم التبادل على هذا النحو يحقق التكامل بين الأحداث الماضية والأحداث المتوقعة في المستقبل وأنماط السلوك الحالية.

عرض(**بلاو**)نظرية بنائية تتبنى وجهة نظر سيكولوجية إلى حد ما، حيث أنه ذهب إلى أن العمليات الاجتماعية الأساسية التي تحكم الترابط بين الناس لها جذورها في العمليات السيكولوجية الأولية.

-النظرية البنائية في الصراع:

هنا ينصب الاهتمام على **النزاع المتبادل بين بعض الأنماط السلوكية** إذ عبر(**كوزر**)عن ذلك بقوله :أن الصراع هو دائما نوع من الاحتكاك. كذلك أشار(**دهرندورف**)**في تحليله لخصائص الصراع كميكانيزم للتغير الاجتماعي .** أما(بلاو)فانه اعتبر التبادل مؤدياً إلى الصراع طالما أنه ينطوي دائما على تباين في توزيع القوة.

ز -التفاعلية الرمزية:

اتجاه يحاول أن يصور الاحتمالات الممكنة التي تواجه عملية التفاعل بين الأفراد، وبخاصة فيما يتعلق بتكوين الذات ويمثل هذا الاتجاه **(جورج هربرت ميد وبلومر)**، فالتفاعل الإنساني في رأيهما هو عملية تكوين ايجابية لاتجاهات سلوكية على أساس تفسيرات دائمة للأفعال التي يقوم بها الآخرين.

وهم من خلال هذه العملية يقومون:

- **بتعديل أو بتغيير استجاباتهم لأفعال الآخرين**
- أو إعادة تنظيم مقاصدهم ورغباتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم وملاءمة المعايير والقيم التي يعتقدونها لكي يستطيعون التكيف والتوافق مع موقف التفاعل.

ح -نظريتي الفعل الاجتماعي والملزمات الوظيفية:

تمثل أفكار **بارسونز** هذا الاتجاه الذي **يجمع بين نظريتين**:

<u>النظرية الأولى</u> فهي تسعى إلى تعريف مقولة" الاجتماعي "في ضوء السلوك الذاتي وتحاول تفسيرها بالرجوع إلى ظواهر نتجت اجتماعيا خلال التفاعل بين خصائص البيئة التي يوجد فيها المشاركون والخصائص المميزة لهؤلاء المشاركين أيضا.

<u>النظرية الثانية هي نظرية الملزمات الوظيفية</u> التي تعرف مقولة الاجتماعي في ضوء السلوك الذاتي وتسعى إلى تفسيره معتمدة على نفس الإطار السابق وترتكز هذه النظرية أيضا على فكرة بارسونز عن مشكلات النسق الاجتماعي.

فكل نسق اجتماعي يجب أن يقدم حلا لأربعة مشكلات:

تدعيم النمط
والقضاء على التوتر
وإنجاز الأهداف
والتوافق ومواجهة مطلب الكمون الذي يتمثل في تضامن الوحدات من أجل الأداء الوظيفي.

المحاضرة السادسة

تتمة الفصل الثالث

تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع

نماذج تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع

1) **تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع** إلى اتجاهات.
2) **تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع** في ضوء تفسير النظام الاجتماعي.
3) **تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع** على ضوء طابع العلم وأهدافه الأساسية.

1) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع إلى اتجاهات :

قدم والتر والاس تصنيفا لتراث النظرية في علم الاجتماع يشتمل على ثمان اتجاهات هي :الاتجاه الأيكولوجي والديموجرافي والمادي والسيكولوجي والتكنولوجي والبنائي والتفاعلي الرمزي والفعل الاجتماعي.

2) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع في ضوء تفسير النظام الاجتماعي.

تستهدف هذه المحاولة تصنيف النظريات السوسيولوجية في ضوء تفسيراتها لفكرة النظام الاجتماعي حيث أنه جوهر الدراسة في علم الاجتماع ويتضمن مصطلح النظام الاجتماعي عدة معان منها-:

الأول :يشير إلى وجود القيود والمحرمات الموضوعة لمقاومة الاعتداء أو وجود الضبط الذي يمارس عند حدوث العنف في الحياة الاجتماعية

بينما يشير المعنى الثاني إلى وجود التعاون المتبادل في الحياة الاجتماعية

ويؤكد المعنى الثالث عامل التنبؤ في الحياة الاجتماعية حيث لا يستطيع الناس أن يسلكوا بطريقة اجتماعية إلا إذا عرفوا ما يتوقعه كل من الآخر.

أ-نظرية القهر

تفسر هذه النظرية وجود النظام الاجتماعي بالرجوع إلى فكرة استخدام القهر بصوره المختلفة الفيزيقية أو الرمزية أو الخلقية.

حيث يعتمد على ممارسة القوة .إذا امتنع الناس عن القيام بما هو متوقع منهم، **فسوف يواجهون التهديد باستخدام بعض صور العقاب الفيزيقي أو الحرمان من الملكية أو الموارد أو الحقوق،** وتحاول هذه النظرية أن تفسر مختلف جوانب النظام الاجتماعي

فالناس يكبحون دوافعهم **ويمتثلون للمعايير لأنهم يخافون النتائج التي يمكن أن تترتب على إخلالهم بذلك،** وأنهم يقومون بالتزاماتهم ويتوقعون من الآخرين نفس الشيء **لأن الإخفاق في ذلك سوف يواجه بالعقاب من جانب السلطة.**

وتستطيع هذه النظرية أيضا تفسير مظاهر التفكك والصراع والتغير، ففي جميع المجتمعات يوجد على **الأقل نوعان من الصراع فهناك:**

أولا صراع بين الناس حول مراكز القوة

ثانيا :صراع بين هؤلاء الذين يمتلكون القوة وبين هؤلاء الذين حرموا منها

ب -نظرية المصلحة

هناك صورتان رئيسيتان متعارضتان في نظرية المصلحة:

الأولى تفسر النظام الاجتماعي على أنه نتيجة للتعاقد بين الناس لتحقيق مصالحهم وتقرر هذه الصورة أن الناس لا يستطيعون انجاز أهدافهم بدون التعاقد.

أو على الأقل بدون قابليتهم للاعتماد على الآخرين، وهذا بدوره يتطلب وضع القواعد التي تحدد لكل جانب حقوقه والتزاماته التي تمثل منفعة متبادلة والتي تمنع بعض الأطراف من تحقيق منافعهم على حساب الأطراف الأخرى. وتفسر هذه النظرية ظهور التفكك والتغير في ضوء عدم كفاية القواعد الموجودة فيسود الصراع لفترة معينة نتيجة للحاجة إلى قواعد جديدة.

أما الصورة الثانية في نظرية المصلحة فهي أكثر تعقيداً من الأولى حيث تذهب إلى أن النظام الاجتماعي نتيجة غير مقصودة لتصرفات عدد كبير من الناس طبقا لمصالحهم بطريقة منفصلة أو مستقلة.

قد يؤدى ذلك في بداية الأمر إلى تصادمات :لكن كل فرد سوف يجد أن مصالحه يمكن أن تحقق بطريقة أفضل، باستبعاد تلك التصادمات وبتدعيم التعاون المتبادل مما يترتب عليه إقامة توقعات سلوكية متبادلة وتعديل مستمر لها لتحقيق التوازن.

ج -نظرية الاتفاق القيمي

تقرر النظرية الثالثة أن النظام يقوم على وجود حد أدنى من الاتفاق حول بعض القيم التي قد تكون أخلاقية أو فنية أو جمالية ، بمعنى أنه إذا اتفق الناس على نفس القيم فإنهم يشكلون وحدة مشتركة ضد الآخرين فيوافقون على أهداف مشتركة .هذه النظرية تفسر التفكك والتغير.

د -نظرية القصور الذاتي

أما النموذج الرابع والأخير من نظريات النظام الاجتماعي فيختلف عن النماذج السابقة في أنه يبحث عن تفسير مظهر واحد أو جانب واحد من النظام الاجتماعي. **ونقصد به** عامل الاستمرار أو البقاء في الحياة الاجتماعية.

وتؤكد هذه النظرية باختصار أنه إذا وجد النظام الاجتماعي توجد معه شروط استمراره ودوامه خلال الزمن .والواقع أن هذه النظرية تؤكد على نقطة مؤداها أن بعض العمليات العلية في الظواهر الاجتماعية غالبا ما تكون دائرية ، بحيث يتدعم النظام الاجتماعي بصفة مستمرة خلال مراحل محددة يقاوم فيها التغير الذي قد يهدد توازنه ويسعى إلى تأكيد شروط بقائه.

3) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع على ضوء طابع العلم وأهدافه الأساسية.

استند **فاجنر** في تمييزه وتصنيفه لتراث النظرية في علم الاجتماع إلى تصورات أصحابها للطابع العام لعلم الاجتماع ولأهدافه الأساسية كميدان للبحث المنظم، ويحصر التصنيف الذي يقترحه فاجنر نظريات علم الاجتماع في الفئات أو المقولات الرئيسية التالية:

تصنيف فاجنر لتراث النظرية

النظريات الوضعية: التي يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع على أنه علم طبيعي.
النظريات التفسيرية : التي يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع علما اجتماعيا يناقض العلوم الطبيعية.
النظريات الاجتماعية والتقويمية او غير العلمية: التي لا يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع على أنه علم وضعي أو تفسيري

أولاً -النظريات الوضعية:

تستند النظريات الوضعية على مسلمة مؤداها:

أن علم الاجتماع ينبغي أن يدرس كعلم طبيعي

أن علم الاجتماع علماً وضعياً اجتماعيا سلوكيا، ويمكن أن نميز في هذا الصدد بين خمس فئات أو مقولات فرعية من هذه النظريات الوضعية ، **ومنها-:**

أ-الوضعية الجديدة :والتي نشأت وانتشرت في الثلاثينات والتي تزعم **أنها تعمل على أساس من النموذج الفيزيقي،** وهي تجمع لدرجة كبيرة بين الأساليب العلمية والتعميم والقياس وتنظر إلى علم الاجتماع على أنه علم تطبيقي ونوع من الهندسة الاجتماعية.

ب -الأيكولوجيا الاجتماعية المحدثة: تعتمد على ما يطلق عليه **بالاتجاه البيولوجي لدى علماء أيكولوجيا النبات والحيوان،** حاول هاولى في عام 1950 أن يعدل هذا الاتجاه عن طريق توسيع نطاقه ليتخطى التخصص الضيق في علم الاجتماع الحضري والإقليمي إلى نطاق النظرية المتسقة التي تتجاوز الحدود التقليدية بهدف تحديد التنظيم الاجتماعي، ذلك المصطلح الذي استعير عن نظرية الأبنية الاجتماعية بما ينطوي عليه من معاني واسعة.

ج -النزعة الوظيفية البنائية: وهي تشتمل على عدد من النماذج الفرعية والاتجاهات في علم الاجتماع والأنثروبولوجية، **ولقد صيغت هذه النظريات أساساً على شكل النموذج المورفولوجي والفيزيولوجي للكائن العضوي.**

وبالرغم من أنها تختلف عن بعضها البعض إلا أنها تدخل في الإطار الثاني للنزعة الوظيفية التي تدرس **الوحدات الصغرى** ونعني نظرية الجماعة الصغيرة والنظرية الكلية للمجتمع الثقافي ونظرية الأنساق الاجتماعية الريفية ونظرية التنظيم والنزعة الوظيفية الحضرية....الخ.

ولقد صيغ الاتجاه الوظيفي الذي يدرس الوحدات الكبرى باعتباره نظرية تعنى ببناء المجتمع في جملته. وتعد النظريات التي تعالج **النسق الاجتماعي باعتباره واحداً من الأنساق الفرعية داخل النسق العام** من أكثر النظريات الوظيفية شمولاً.

د-النزعة السلوكية الاجتماعية: وتختص بالنظريات غير الذاتية، وغير الإرادية للفعل أو السلوك الاجتماعي وقد **تنهض هذه النزعة على تصورات واقعية وتعمل على ضوء مفهوم علم النفس للمنبه والاستجابة** ، وكذلك تسلم بالنزعة الحتمية السلوكية للمعايير الثقافية.

ه -النظرية السيكولوجية البيولوجية للثقافة: وتمتد جذورها الى **علم نفس الغرائز الحديث.**

وتلعب هذه النظرية دورا واضحا في الأنثروبولوجيا وهي تمثل في معظمها تطبيقات لنظرية التحليل النفسي الفرويدى في دراسة الشخصية والثقافة والموضوعات المرتبطة بها، وهناك صوراً معدلة لها تهدف إلى بناء نظرية عن الثقافة في جملتها.

ثانياً -النظريات التفسيرية:

والفئة الرئيسية الثانية من نظريات علم الاجتماع هي النظريات التفسيرية وهي تشمل النظريات التي لا يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع علماً طبيعياً، برغم إصرارهم والتزامهم بالقواعد المنهجية العامة للعلم، وهم يدعون أن علم الاجتماع هو ذلك الميدان للبحث الاجتماعي الذي يتميز بأنه فريد من الناحية المنهجية.

وتركز هذه النظريات على الجوانب الذاتية والإرادية للسلوك الاجتماعي .وتجمع مناهجها بين وجهة النظر الخارجية للملاحظ الأنثروبولوجي أو السوسيولوجي ووجهة النظر الداخلية للمشاركين في الأحداث والعمليات.

وبالإمكان التمييز بين أربعة أشكال مختلفة أساسية للنظريات التفسيرية ، **واثنين منها بينهما علاقة ارتباط وثيقة كما يلي-:**

أ -النموذج الأول قد نطلق عليه اسم نظرية الفهم الثقافي ، وتعالج النظريات من هذا النوع **روح المجتمع الثقافي وتصدر هذه النظريات عن محاولات التعرف على روح التجمعات الاجتماعية وترجمتها إلى لغة علم الاجتماع بمثل ما تترجم إلى لغة ثقافتنا** وأسهم علماء الأنثروبولوجيا في نقل هذا الاتجاه إلى علم الاجتماع في أمريكا واستفاد منه البعض في معالجتهم لموضوع روح المجتمعات المعاصرة أو الأقسام الكبيرة من هذه المجتمعات.

ب -النموذج الثاني للنظرية التفسيرية : يطلق عليها اسم **نظريات الفعل والتفاعل،** والتي يمكن تتبعها في كتابات**(ماكس فيبر)**عن **الفعل والفهم الذاتي** وبدأت من منطلق علم الاجتماع الذي يدرس **الوحدات الصغرى،** ويتناول موضوعات فعل الأشخاص الذين يربطون أنفسهم بالآخرين ويدخلون في علاقات متبادلة لها مغزى ذاتي معهم .أي **دراسة الحالة الفردية** حتى يتمكن من بناء نظرية الفعل الذاتي والتفاعل.

ج -النموذج الثالث للنظريات التفسيرية وهي نظرية التفاعل الرمزي :وتركز النظريات من هذه الفئة الفرعية على مستوى **تحليل الوحدات الصغرى** وهي تمثل أحد **نماذج علم النفس الاجتماعي الحديث** وتكون معتمدة في ذلك على **النزعة السلوكية ل(جورج ميد)التي تهتم بعمليات التفاعل الرمزي "اللفظي "**من المنظور الذاتي الداخلي وتتمثل الموضوعات الرئيسية في تحقيق الوعي الاجتماعي في المواقف التفاعلية

ويوجه بعض علماء النزعة التفاعلية الرمزية أيضا **الانتباه نحو العمليات الإدراكية التي من خلالها يدرك الفرد ويتصور العالم الاجتماعي المحيط به،** وهذا التغيير في أسلوب عالم التفاعل الرمزي يعبر عن شكلاً مغايراً رابعاً للنظريات التفسيرية.

د -والنموذج الرابع سوف نطلق عليه اسم مدخل الظواهر الاجتماعية :ويهتم هذا الاتجاه بالصور الواقعية وبعمليات الخبرة الواعية والإدراك .حيث تعد الخبرة الذاتية **محور مدخل الظواهر الاجتماعية** ، فالناس لا يتفاعلون فقط الواحد منهم مع الآخر وإنما كل منهم مهتم بفهم الآخر أيضا.

ثالثاً -النظريات الاجتماعية التقويمية:

تشمل هذه الفئة النظريات المناهضة للوضعية وغير العلمية، ولقد صاغ هذه النظريات الكتاب الذين لا يعتبرون علم الاجتماع علماً ولا يعتبرونه يخضع للقواعد العلمية في التطبيق ، ولقد رفضوا مبدأ الموضوعية.

وعارضوا أيضا مبدأ التحرر من القيمة ولقد استندوا بدلاً من ذلك إلى مقدماتهم الفلسفية المفترضة ومعتقداتهم الأيديولوجية وأنساق قيمهم وهكذا أصبحت **الفروض الفلسفية والتوجهات والأيديولوجيات ومجموعة المثل الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية أصبحت هي الأساس لمثل هذه النظريات.**

وفي الحقيقة هناك نماذج ثلاثة من هذه النظريات المناهضة للوضعية وغير العلمية والتي تخصص للقيمة جانباً له دلالته.

1- النظرية الفلسفية الاجتماعية
2- النظرية الاجتماعية الايديولوجية
3- النزعة النقدية الاجتماعية

وتمثل النظرية الفلسفية الاجتماعية النوع الأول من هذه الفئة وتشمل هذه المجموعة **الفلسفات الشاملة للمجتمع أو للتاريخ** ثم يأتي بعد ذلك **النظريات الفلسفية التي أبحرت تحت راية علم اجتماع المعرفة.**

وهو أحد الإسهامات الأكثر حداثة في علم الاجتماع- الفلسفية **والذي يستعين بالتصورات الهيجلية** بالرغم من أنه يرفض المضامين التاريخية للنزعة الهيجلية **والنموذج الثاني قد نطلق عليه النظرية الاجتماعية الأيديولوجية** التي تلزم بأيديولوجية نقدية اجتماعية وأحياناً **بالنظرة النقدية في الاتجاه الماركسي،** وقد يربطون بين علم الاجتماع وبين الدعوة إلى الممارسة والتي تهدف إلى تغيير مجتمعهم.

والنموذج الثالث لهذه النظريات الاجتماعية التقويمية تصدر عن معتقدات أخلاقية اجتماعية مما تصدر عن توجيهات أيديولوجية فلسفية وتتمثل في **النزعة النقدية الاجتماعية** التي تركز على النظام الاجتماعي ككل، ويطالب مؤلفو هذا الاتجاه بشيء من التحسين في الظروف الاجتماعية وبنوع من الإصلاحات التدريجية.

الخاتمة:

الخلاصة:

هذا الإطار في تصنيف نظريات علم الاجتماع يشمل مختلف النظريات المعاصرة، ويساعد على تنظيم التراث النظري لعلم الاجتماع.

لكن من المفيد التأكيد على أن هذا التراث يمثل مجموعة متباينة من النظريات قد تتداخل أحياناً فيما بينها، لذلك لا بد للباحث من التحليل الواعي والأخذ بعين الاعتبار السياق الفكري للمجتمع.

والجدير بالذكر أن :تصنيف فاجنر للنظريات إلى:

{ وضعية - - تفسيرية -تقويمية}

تحقق شروط التصنيف الجيد

وعليه سندرس في ضوء تصنيف فاجنر أشهر هذه النظريات.

المحاضرة السابعة

الوظيفية البنائية – الوضوح والأزمة

تمهيد:

يعتبر علم الاجتماع في جملته محاولة لفهم الطبيعة النظامية والنمطية للواقع الاجتماعي تلك التي يمكن التنبؤ بها .

غير أن أفكار النظام وإمكانية التنبؤ التي تتردد بين علماء الاجتماع عموماً تختلف حول القول بثبات العلاقات

الاجتماعية وأن الأحداث الاجتماعية تحدد سلفا بالضرورة .

هذا لأن مفهوم النظام يقوم على حقائق نستنبطها من الملاحظات مثل التي تقول أن توقعاتنا لسلوكنا الخاص وتوقعاتنا لنشاط الآخرين يمكن أن تنمو أو تظهر وتتشكل من خلال الخبرات التي نكتسبها، وليس معنى ذلك القول بأننا نعرف بالضبط ما قد يفعله الآخرون في أي وقت، وإنما لدينا فكرة لا بأس بها عن الأفعال المحتملة.

وبعد التركيز على الأساليب التي يتم من خلالها تنظيم الحياة الاجتماعية محوراً للاهتمام المشترك بين كل منظورات علم الاجتماع ، تظهر الاختلافات بين هذه المنظورات حسب صياغتها التصورية لطبيعة عملية ظهور وإدارة هذا النظام

الاجتماعي، ويميل كل منظور إلى التركيز على جوانب مختلفة أو الاهتمام بتلك الجوانب من الحياة الاجتماعية التي يعتقد أنها تسهم أكثر من غيرها في تحقيق هذا النظام الاجتماعي.

وباستطاعتنا من ناحية أخرى أن نتعرف في إطار علم الاجتماع على مدخل أوسع يقوم على افتراض مؤداه: أن أفعالنا الاجتماعية وما تشكله من بناء يتأثر إلى حد كبير بالبيئة الاجتماعية من حولنا .

وهنا يمكن النظر إلى ما يسود بيننا من قيم واتجاهات وما يترتب عليها من نشاطات وعلاقات على أنها نتيجة أو على الأقل تتأثر إلى حد كبير بتنظيم وبناء المجتمع الذى نعيش فيه، ولقد مهد هذا الافتراض لظهور المدخل الأوسع الذى يطلق عليه البعض البنائية .

وعلماء الاجتماع الذين استطاعوا تطوير منظور في علم الاجتماع يطلق عليه البعض اسم منظور الإجماع أو الاتفاق يركزون صراحة على مسألة النظام على مستوى المجتمع، بمعنى أنهم يميلون إلى التركيز على النظام في المجتمعات بأكملها.

وتقوم تحليلاتهم النظرية والواقعية على افتراض مؤداه: أنه يمكن النظر إلى المجتمعات باعتبارها كيانات متكاملة وثابتة ومتماسكة ومستمرة وأنه إذا كان هناك اختلاف بينهما فإن هذا الاختلاف يرجع إلى الاختلاف في الترتيبات البنائية والاجتماعية والثقافية لهذه المجتمعات.

ولقد ترتب على هذا الافتراض أن ظهر إطار تصوري وأسلوب في التحليل عرف خلال السنوات الأخيرة تحت اسم الاتجاه الوظيفي، والتفرقة بين الاتجاه الوظيفي المهتم بالوحدات الكبرى والاتجاه الوظيفي المهتم بالوحدات الصغرى.

ويسمح لنا الأخذ بعنوان البنائية الوظيفية أولاً تسمية الأشياء بمسمياتها وثانياً الانطلاق في معالجة هذا الاتجاه النظري من فكر بارسونز الذى كان يميل إلى هذه التسمية ، والذى أسهم في وضوح وبلورة هذا الاتجاه الذى يضرب بجذوره في كتابات رواد علم الاجتماع من أمثال كونت وسبنسر وباريتو ودوركايم وغيرهم من علماء الأنثروبولوجيا وبخاصة مالينوفسكى وراد كليف براون .

وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه أخذ يوجه البحث في علم الاجتماع منذ بداية الأربعينات إلا أن الظروف التي استحدثت على صعيد علم الاجتماع والمجتمعات الغربية وذلك في بداية الستينيات قد أدخلت هذا الاتجاه النظري في أزمة ، وقد ظهرت لها ردود فعل متباينة أفضت في النهاية إلى نماذج نظرية حديثة.

أولاً: فكر الرواد والمقدمات المنطقية للبنائية الوظيفية.

ظهرت فكرة تكامل الأجزاء في الكل وتساند عناصر المجتمع المختلفة في فكرة الاتساق العام عند)كونت(، وفي فكرة التكامل الناتج عن التباين عند)سبنسر(وفي الاتجاه العضوي عند)كولى(وفي تصور)باريتو(للمجتمع باعتباره نسقاً متوازناً، أما تأكيد فكرة الدور أو الاسهام الذى تقدمه البناءات الاجتماعية للكل فيعود في الواقع إلى كل من)دوركايم وتوماس(.

ونحاول فيما يلي توضيح إسهام هؤلاء الرواد في مجموعة المسلمات هذه:-

1-المجتمع ذو طابع نسقي:

قسم)أوجست كونت(موضوع الدراسة في علم الاجتماع إلى فرعين رئيسين هما: الاستاتيكا

والديناميكا، وكان يعني بالاستاتيكا دراسة المجتمعات في جملتها، ويهدف إلى وصف الكيفية التي تعمل بها وتؤدي وظيفتها كأنساق متشابكه تتكون من أجزاءمختلفة.

وتهدف الديناميكا إلى الكشف عن القوانين التي تفسر الكيفية التي يمكن بها أن تتغير هذه المجتمعات عبر الزمن، وتبدو فكرة الطابع النسقي للمجتمع واضحة في النظر إلى المجتمعات كأنساق متشابكة تتكون من أجزاء مختلفة.

وكان ل)هربرت سبنسر(وجهات نظر مماثلة إلى حد ما في مقدمتها قوله أن المجتمع يماثل الكائن العضوي بمعنى أنه يمكن النظر إلى المجتمع كما لو كان كائنا حياً، وأن المجتمعات تسير في عملية تطور تماثل ذلك النوع من التطور البيولوجي الذى يميز الكائنات الحية والذى أشار إليه داروين.

ويتضح تأكيد)سبنسر(للطابع النسقي للمجتمع من اعتباره المجتمع كل يتكون من أجزاء مختلفة تتمثل في مجموعة الترتيبات الاجتماعية والضرورية، والتي تأخذ شكل النظم بمعني مجموعة الأنساق المنظمة التي تحقق التنظيم الاجتماعي وكان دوركايم قد وافق)كونتوسبنسر(على أن المجتمعات تمثل أنساقاً تتكون من عناصر اجتماعية متشابكة.

2- المجتمع نسق طبيعي:

وقدم دوركايم في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" وصفاً مبدئياً للمناهج التي يمكن استخدامها في دراسة المجتمع غير أنه أمضى بعض الوقت في وصف طبيعة الظواهر التي يمكن دراستها. ويتمثل موضوع الدراسة في نظر علماء الاجتماع أوالظواهر التي يمكن لهم أن يقوموا بدراستها بالطريقة العلمية ، يتمثل ذلك الموضوع فيما يعرف باسم الحقائق

الاجتماعية ، وهذه الحقائق الاجتماعية تختلف عن غيرها من أنواع الحقائق الاخرى ، لأنها تمثل النسيج الحقيقي للمجتمع والتي تنشأ من العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية فهو مثلاً ينظر إلى معدل الانتحار في المجتمع على أنه نظام متميز يتسم به الواقع ، ولا يمكن أن نفهم من معدل الانتحار في نسبة ألف من السكان أنه يمثل مجموعة حالات فردية بدون أن يتطرق إلى المعنى الحقيقي لهذا المعدل.

فالمعدل الألفي يعتبر بمثابة ظاهرة جمعية أو بمعنى آخر ما هو إلا حقيقة اجتماعية ، ولقد أدرك دوركايم ارتباط مباشر بين الطبيعة الاجتماعية للمعدل وبين إحصائيات الانتماء في جماعات مختلفة ، وبالرغم من أن المعدلات قد تختلف من جماعة إلى أخرى ، إلا أن بعض الجماعات ترتفع فيها المعدلات بينما تنخفض في أخرى.

وأن كل جماعة منها يبدو أن لها معدل مماثل من عام إلى آخر، وأدت هذه الملاحظة بدوركايم إلى أن يقرر بأن معدلات الانتحار تنشأ من الظروف الاجتماعيةللمجتمع، ومن هنا فهي تعد بمثابة حقائق اجتماعية.

وهذه الظواهر التي تتسم بالوجود المنفصل تمارس ضغوطاً على الأفراد ومن ثم يكون لها تأثيراً إلزامياً عليهم، ونحن لا يمكن لنا أن نشعر بهذا الإلزام مثلاً أو حتى بالذنب عندما نخرج على هذه التقاليع ولا نأخذ بها.

ويقترح دوركايم أيضا أنه برغم أن بعض الحقائق الاجتماعية قد تكون عامة في المجتمع إلا أنها قد لا تتفق في الواقع مع ظروف هذا المجتمع، وبالإمكان مثلاً بالنسبة للظواهر الاجتماعية أن تكون بالية لأنها تنتمي إلى الشكل الماضي للمجتمع.

ولذلك نجد دوركايم يعدل الشرط المتعلق بالعمومية بشرط آخر مؤداه أن الحقائق الاجتماعية ينبغي أن ترتبط بالشروط العامة للحياة الجمعية لذلك النوع من المجتمع، وعند هذه المرحلة المحددة من التطور أو تغير ذلك النوع من المجتمع.

واستطرد دوركايم في تحليله للحقائق الاجتماعية بأن ذهب إلى أنه ثمة نسق معين ضروري لهذه المجتمعات التي قام بتصنيفها لكي نحدد ما إذا كانت الحقائق الاجتماعية طبيعية أو معتلة، ويذهب دوركايم متفقاً مع سبنسر إلى أن هذه المجتمعات يمكن وضعها في فئات طبقاً لدرجة تعقيدها أو تنظيمها. فعلى الطرف الأول من هذا المقياس يوجد هناك الشكل البسيط أو البدو الرحل، وعندما ننتقل عبر هذا المقياس نجد هناك مع زيادة التعقيد العشيرة ثم القبيلة، وأخيرا المدينة . ويمكن أن ندخل في كل تصنيف ما يساعد على التمييز بين المجتمعات طبقاً لدرجة التضامن وهذا معناه تصنيفها طبقاً للمدى الذى تختلط فيه أجزاؤها المكونة معاً لتكوين نمط متكامل من مجموعة نظم .

وتعتبر عملية تصنيف المجتمعات بمثابة مطلب ضروري أيضا كشرط سابق لاستخدام المنهج المقارن، ذلك المنهج الذى

نظر إليه دوركايم على أنه الإجراء الأكثر نفعا في التوصل إلى البراهين السوسيولوجية ولذلك عنى كثيراً بضرورة أن تكون نظريات علم الاجتماع من النوع الذى يمكن اختباره ولما كانت عملية التجريب بالتطبيق على المجتمعات في جملتها أمراً مستحيلاً كان من الضروري استخدام المنهج المقارن باعتباره منهجاً شبيهاً بالتجربة ، ذلك المنهج الذى يعد بمثابة تجربة غير مباشرة ، وعلى عالم الاجتماع في إجرائه لبحثه أن يقارن نتائجه التي تتعلق بالمجتمع ما بتلك النتائج المتعلقة بمجتمعات أخرى من نفس النموذج ومن نماذج مختلفة.

وأشار دوركايم في كتابه **"قواعد المنهج في علم الاجتماع"** إلى أنه عند تفسير الحقائق الاجتماعية ينبغي على الباحثين: أن يتوصلوا إلى أسباب الحقائق الاجتماعية.

أن يكشفوا عن وظائف الحقائق الاجتماعية.

وأكد دوركايم عند تفسير الحقائق الاجتماعية ضرورة التوصل إلى أسباب الحقائق الاجتماعية ، والكشف عن وظائف هذه الحقائق بمعنى الدور الذى تلعبه في المساعدة على الحفاظ على المجتمع في حالة منظمة.

3- المجتمع نسق أخلاقي: ذهب دوركايم إلى أن كل العلاقات والروابط الاجتماعية

تعمل على ظهور توقعات حول أنماط السلوك ، وعندما يرتبط الأشخاص فيما بينهم بمعنى إقامة العلاقات مع الآخرين ، فإنهم يميلون إلى تطوير طرق مشتركة في الإدراك والتقييم والمشاعر والعمل.

وهذه الأنماط الجديدة للقيم والإدراك والفعل تعمل على ظهور توقعات وضوابط تتعلق بالكيفية التي يجب أن يتصرف بها الأشخاص في مواقف معينة ، وهكذا عندما يرتبط الأشخاص ببعضهم الآخر فإنه يظهر هناك وعي اجتماعي يعمل بدوره على إلزامهم واضطرارهم على السلوك والتصرف بطرق معينة. وقرر دوركايم أنه لكي يقدم الناس معا على إبرام عقد عليهم أن يصلوا إلى شيء من الاتفاق المشترك على القيم الخاصة بهذا العقد وبعض الاتفاق المشترك على الارتباط والتمسك بالقواعد غير المدونة لهذا الموقف الذي يخص التعاقد ، وهذا الاتفاق السابق يمثل في نظردوركايم إطاراً للنظام الذي يعد جوهر أو أساسالمجتمع.

و إذا أمكن للناس إبرام عقد مع بعضهم الآخر فذلك لأنهم أعضاء فعلاً في مجتمع ويتمسكون بقيم معينة شائعة بينهم، وهكذا يصبح الإجماع الأساسي أو الاتفاق على قيم أساسية مرادفاً لفهم أو إدراك تصور المجتمع.

ويبدو تأكيد دوركايم على الطبيعة الأخلاقية للعلاقات الاجتماعية واضحا في كل أعماله ، ففي كتابه مثلاً عن تقسيم العمل في المجتمع الذي وضع عنواناً فرعياً)دراسة تنظيم المجتمعات المتقدمة(ادعى أن تقسيم العمل ذاته يعد بمثابة ظاهرة أخلاقية أكثر منها ظاهرة اقتصادية. فهو يركز في هذه الدراسة على المشكلات السياسية والقانونية والأخلاقية للمجتمعات وذلك في تغيرها من الأنساق البسيطة الزراعية التقليدية إلى المجتمعات الصناعية الحديثة ، وذهب إلى أن كلاً من هذين النموذجين للمجتمع يتسم بأن له أشكالاً مغايرة من التضامن الاجتماعي ولها أنساق اجتماعية للأخلاق متباينة.

وباختصار يرتبط الناس فيما بينهم بقيم مشتركة تقوم على الخبرات المشتركة والشائعة بينهم، ولا تزال القيم المشتركة والشائعة مستمرة، لأنه بدونها لا يكون للمجتمعوجود . غير أنها تصبح عامة طالما أنها فقدت جذورها في مجال الخبرات اليومية المشتركة وبدلاً من تعيين وتحديد تفاصيل الفعل تميل القيم المشتركة إلى أن تكون دعائم أكثر عمومية للممارسات الاجتماعية الفعلية، وبهذا يمكن النظر إلى تقسيم العمل باعتباره ظاهرة أخلاقية.

4- المجتمع نسق متوازن:

والملاحظ أن دوركايم كان يستخدم على نحو ضمني شأنه في ذلك شأن كونت وسبنسر من قبل نموذج التوازن للمجتمع.

حيث ينظر إلى المجتمع على أنه نسق منظم وثابت تتغير فيه الخبرات ويعمل التوافق والتكيف مع الموقف المتغير بطريقة ما على إعادة تشكيل نظام جديد وحالة جديدة للتوازن.

ويعتبر مفهوم التوازن مفهوما هاماً في مدخل الإجتماع ، وعموما يفترض أن تكون المجتمعات ثابتة ومنظمة إلى أن يقع حدث أو تغير آخر ، وعندما يحدث هذا من المفترض أن يحدث للمجتمع تغيرات أخرى كجانب من عملية التكيف مع الموقف الجديد لكي يعيد بناء حالة التوازن .

ويترتب على استخدام هذا المفهوم -بطبيعة الحال- ميلاً إلى نشوء المجتمع بمعنى إعطائه خصائص الشيء الفعلي والافتراض أن لهذا المجتمع حياته ووجوده الخاص به، وتكمن جذور هذا الافتراض في القول بأن المجتمع يشبه الكائن العضوي.

وبالرغم من أن سبنسر نفسه- كما أوضحنا -يعتقد بأن المجتمع يعد بمثابة كائن عضوي لأنه عالج فقط المجتمع كما لو كان كائنا عضويا، إلا أنه كان هناك غيره من فعل ذلك.

وبالرجوع إلى تفسيره الوظيفي للصور الأولية للحياة الدينية نجد دوركايم يذهب إلى أن النشاط الديني يوجد في المجتمع لأن له وظيفة ايجابية، فهو يساعد على الحفاظ على الوحدة الأخلاقية للمجتمع.

وقام دوركايم بتحليل النشاط الديني في القبائل البدائية على افتراض أن لكل المجتمعات خصائص أساسية مشتركة، وأن فهم الدين في هذا المجتمع البسيط قد يؤديإلى فهم الخصائص الجوهرية للدين في أي مجتمع فقام دوركايم بدراسة القبائل البدائية في استراليا واستنتج أن وظيفة الطقوس الدينية هي دعم التضامن بين أعضاء المجتمع، إذ تساعد أوجه النشاط الطقوسية

هذه على أن توضح لهم أنه برغم معيشتهم المنفصلة والمبعثرة في عشائر متباينة.

فهم جميعا جزء في نفس المجتمع ولهم نفس القواعد الأخلاقية والتوقعات والالتزامات الأساسية التي تمارس عليهم نوعا من الضغوط والضبط وبداخل القبائل تعتبرالعشيرة هي الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية. ولكل عشيرة)توتم(، والتوتم عادة يأخذ اسم حيوان مثل السحلية ويشبه شعار النبالة أو أي شعار آخر، بمعنى الرمز الذي يعد مقدساً وينطوي على معاني خاصة بالنسبة لأولئك الذين يتخذون منه توتما لهم، ويعتبر التوتم بمثابة وسيلة ملموسة للتعبير عن مشاعر الناس على أن المجتمع والذي يعتبرون أنفسهم أعضاء فيه مجتمع أكبر وأفضل من كل فرد فيه.

وهو يعمل على هذه الروابط من قيم وأهمية وتدعم هذه المشاعر بمعرفة القبيلة ككل، وذلك على فترات زمنية يتم فيها التجمع على موائد الطعام والرقص والطقوس الدينية ويتمتع كل فرد بمشاعر المرح وتسمو انفعالاته. الأمر الذي لا يمكن له أن يتحصل عليه إلا في ظل هذا المجتمع فقط، وتتأثر مشاعر الفرد بالقوة الخارجية ذات القيمة ويشعر معها بالتضامن مع أقرانه وهكذا، فإن الشعار التوتمي يذكره بالقوة العليا للمجتمع.

ويقارن دوركايم في تحليله وتفسيره الوظيفي بين توتم العشيرة وبين العلم لدى الدولة، إذ يعتمد التضامن القومي على مشاعر حب الوطن في أذهان الأعضاء الأفراد في هذه الأمة،وللحفاظ على التضامن القومي ومشاعر حب الوطن يحتاج الأمر إلى بعض التعبير الجماعي من وقت إلى أخر. وتساعد كل الطقوس المتعلقة بالإعلام والملك وقادة الدولة....الخ، على تحقيق هذه الوظيفة وهذه الطقوس تمكن أفراد الأمة من تركيز مشاعرهم على الكيان الجمعي الذي يعتبرون أنفسهم جزءا منه، وهذا يساعد بدوره على الحفاظ على وجودهم من خلال دعمهم للتضامن الاجتماعي.

ثانياً: الإطار التصوري للبنائية الوظيفية

نعني بذلك مجموعة المفهومات التي يتردد استخدامها في إطار البنائية الوظيفية ، وعلى الرغم من أن مفهوما البناء والوظيفة باعتبارهما مفهومين رئيسين في هذا الإطار قد دخلا على يد كونت وسبنسر ...

إلا أن البنائية الوظيفية شهدت نمو إطار تصوري يضم مفهومات مثل: النسق والنظام والدور والقيم والمعاييروغيرها من المفاهيم التي ترتبط بمفهوم البناء منناحية.

ومن ناحية أخرى شهدت ظهور مفهومات مثل

الوظيفة الظاهرة والوظيفة الكامنة والبدائل الوظيفية والمعوقات الوظيفية والوظيفة الميسرة وغيرها.

1- مفهوم البناء الاجتماعي والمفهومات ذات الصلة:

يذكر روبرت ريدفيلد أن من استخدموا مفهوم البناء الاجتماعي لم يستخدموه بمعنى واحد، ويبدو أنهم يستخدمون عدة أفكار أو تصورات مختلفة بشأنه مثل

أ- النسق الاجتماعي social system :

ويعني النسق بأبسط معانيه العلائقية أو الارتباط أو التساند وحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض فإنه يمكن القول أنها تؤلف نسقاً .

ذلك الذي يتسم بخصائص معينة ويستطيع مفهوم النسق الوفاء بكثير من متطلبات التحليل الوظيفي ، ولعل أهمها أنه يمكننا على مستوى التجريد من التعرف على النشاطات المختلفة والخصائص المتميزة للمجتمع ككل، فالمجتمع ذاته يوصف بأنه نسق اجتماعي متفاعل.

ب- النظام الاجتماعي Social institution :

استخدممالينوفسكى مصطلح النظام للإشارة إلى الجماعة الاجتماعية وهو يدافع عن ما يسميه عزل النظم عن بعضها البعض، وكل نظام يؤدي في الواقع وظيفة اجتماعية على الأقل.

أو بعبارة أخرى يشبع حاجة اجتماعية مستترة ، وإذن من الممكن تقسيم النشاط الثقافي العام للمجتمع إلى وحدات تنظيمية متميزة، بحيث يطلق على كل وحدة من هذه الوحدات مصطلح النظام.

وهذه النظم هي العناصر الثقافية المنعزلة التي تخضع للبحث والدراسة العلمية ، فدراسة النظم تشتمل على الثقافة بوصفها الجهاز الذي يواجه إشباع الحاجات والملزمات الوظيفية المتعددة.

وكان رادكليف براون يرى أن ما اصطلح على تسميته بالنظم الاجتماعية ما هي إلا صور منتظمة للعلاقات المتبادلة مثل الأسرة والدين والحكومة والقانون وهي تمثل وحدات التحليل السوسيولوجي ويستطرد براون في تعريف النظم في ضوء المعايير الاجتماعية والقيم.

ج- الدور الاجتماعي Social role:

يعد مفهوم الدور مفهوما محوريا سواء لفهم النتائج أو الآثار أو لفهم مكونات البناء الاجتماعي ، فالدور هو الوظيفة بمعنى أنه السلوك الذي يؤديه الجزء من أجل بقاء الكل.

وتشكل أنماط العلاقات الاجتماعية بين الأدوار الشخصية جوهر البناء الاجتماعي وبالمثل تشكل أنماط العلاقات بين النظم الاجتماعية المفهوم الأشمل لبناء المجتمع ككل.

د- نسق القيم Value system:

ويشير إلى القيم التي يتبناها المشاركون في النسق الاجتماعي كموجهات سلوكهم، وهذه القيم هي المسئولة عن التوازن والوحدة ، كما أنها تحقق التماسك وتمنح الفعل الاجتماعي شكلاً وتعطيه معنى.

2- مفهوم الوظيفة الاجتماعية والمفهومات ذات الصلة :

يذهب رادكليف براون إلى أن وظيفة النظام هي الدور أو الإسهام الذي يقدمه الجزء من أجل النسق الاجتماعي ككل.

وكان ميرتون قد أضاف تعريفاً شهيراً للوظيفة حيث قال:

أنها تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظاتها والتيتؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين. وطور ميرتون بعد ذلك مجموعة من التصورات بدأها بالتفرقة بين الوظائف الظاهرة والكامنة، ودعمها بمفهوم البدائل الوظيفية واختتم إسهامه بمفهوم المعوقات الوظيفية كأداة لفهم التغير الاجتماعي.

أ-الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة Manifest & Latent:

قدم ميرتون تفرقة واضحة وتمييزاً قاطعاً بين الوظائف الظاهرة والكامنة وهو تمييز أشار إليه ضمنا بعض الدارسين الآخرين.

فالوظائف الظاهرة تشير إلى النتائج الموضوعية التي تحدثها سمة اجتماعية أو ثقافية معينة، تلك النتائج التي تفرض على الأفراد تبعيتها أو التكيف معها، فهي إذن نتائج يتوقع الأفراد حدوثها، أما الوظائف الكامنة فتشير إلى النتائج غير المقصودة وغير المقررة.

ولتوضيح ذلك نقدم فيما يلي المثال الذي استعان بهميرتون نفسه : فالوظيفة الظاهرة للاستهلاك الاقتصادي هي الانتفاع بينما يعد تحقيق الهيبة وتأكيد المكانة العليا- على حد تعبير فيبلن- أحد الوظائف الكامنة لهذا الاستهلاك.

ب- البدائل الوظيفية Functional

وعندما حاول ميرتون مناقشة موضوع الجهاز السياسي كشف بجلاء عن أهمية مفهوم البدائل الوظيفية ، وتكمن أهمية هذا المفهوم في التحليل حينما نتخلى عن التسليم بفكرة الوظيفية .

حيث أن فكرة الوظيفية ينطوي عليها بناء اجتماعي معين، ومعنى ذلك أنه يتعين علينا ألا نسلم مثلا بأن الجهاز السياسي يمثل الوسيلة الوحيدة لمواجهة حاجات معينة مثل رجال الأعمال والطموحين من أفراد المستويات الاجتماعية الدنيا.

إذن فمفهوم البدائل الوظيفية يركز الاهتمام على مدى التنوع الممكن في الوسائل التي تستطيع أن تحقق مطلبا وظيفياً، وبذلك فهو يذيب ذاتياً ما هو موجود بالفعل وما هو محتم أيضا .

ج- المعوقات الوظيفية Dysfunctions:

وفي هذا الصدد يستخدم ميرتون مفهوم المعوقات الوظيفية والذي يشير إلى النتائج التي يمكن ملاحظتها والتي تحد من تكيف النسق أو توافقه.

فالتفرقة العنصرية مثلاً قد تكون معوقا وظيفيا في مجتمع يرفع شعار الحرية والمساواة ويوضح ميرتون أهمية هذا المفهوم حيث يقول: أن مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط وتوتر على المستوى البنائي يمثل أداة تحليلية هامة لفهم ودراسةالديناميات والتغير.

البحث في المكتبة الرقمية عن بحث محكم في دورية علمية :

1- **موقع جامعة الدمام**
2- **المكتبة**
3- **بوابة المكتبة الالكترونية**
4- **قواعد عربية**
5- **قواعد المعلومات العربية**
6- **قائمة أبجدية جميع قواعد البيانات العربية**
7- **اختيار قواعد البيانات**
8- **العلوم الاجتماعية**

المحاضرة الثامنة

استكمال البنائية الوظيفية – الوضوح والأزمة(جزء2

ثالثاً :بارسونز ووضوح البناء الفرضي للبنائية الوظيفية

أن **تالكوت بارسونز** قد أضاف إسهامات رئيسة إلى تطور منظور الإجماع من خلال بلورته المفضلة لإطاره التصوري الأساسي ومحاولته تنسيق الأفكار الأساسية والفروض التي قدمها العلماء الآخرون والمناصرون لمنظور الإجماع في إطار نظري متماسك.

1- المجتمع نسق اجتماعي معياري:

أشار **بارسونز** إلى أنه بالإمكان تحليل المجتمعات باعتبارها أنساقا اجتماعية وأنه إذا كان على أي نسق اجتماعي أن يستمر عليه أن يعمل على تحقيق أربعة شروط أساسية.

أو بعبارة أخرى عليه أن يتغلب على أربع مشاكل أساسية، ولقد أطلق على هذه المشكلات أو الشروط اسم الملزمات الوظيفية أو المتطلبات الوظيفية وهذه الملزمات لا تهم التنظيم الاجتماعي فقط، وإنما تتعلق بالحاجات الشخصية لأعضاء المجتمع أيضا **وهذه المشكلات الأربع هي-:**

أ- التكيف مع البيئة: Adaption to the environment

على كل مجتمع أن يحقق الحاجات الطبيعية لأعضائه إذا كان عليه أن يستمر ولكي يحقق ذلك عليه أن يضع الترتيبات اللازمة مع بيئته الطبيعية.

ويعتبر الغذاء والمأوى بمثابة حد أدنى من هذه المتطلبات وعادة ما يشتمل مجالها على الأنساق الفرعية الخاصة بالإنتاج والتوزيع.

ب -إنجاز الهدف: Goal Attainment

ينبغي على أي مجتمع أن يتوصل إلى بعض الاتفاق المشترك بين أعضائه حول أهدافهم وأولوياتهم وهكذا عليهم أن يوفروا الترتيبات الضرورية للتعرف على واختيار تحديد هذه الأهداف الجمعية وتوفير الترتيبات البنائية الضرورية لبلوغ هذه الأهداف.

ج -المحافظة على النمط وإدارة التوتر: Pattern Maintenance & Tension Management

على كل مجتمع أن يتأكد من أن أعضائه متحفزين ما فيه الكفاية لأداء الأدوار الضرورية المطلوبة ولتحقيق الالتزام الضروري بالقيم في هذا المجتمع.

وعليهم أيضا أن يكونوا قادرين على إدارة التوترات الانفعالية التي يمكن أن تظهر بين الأعضاء خلال التفاعلات الاجتماعية اليومية.

د -التكامل: Integration ولكي يحافظ أي مجتمع على وجوده عليه أن يضمن قدراً من التعاون والضبط بين العناصر الداخلية للأجزاء المختلفة من النسق الاجتماعي.

وتتعامل المشكلتان الأولى والثانية وهما التكيف مع البيئة وانجاز الأهداف الجمعية مع ظروف ومتطلبات تتحقق من خارج النسق، وعلى هذا يمكن النظر إليها على أنها ذاتية إلى حد كبير بمعنى أنه تتطلب أداء مهام مثل تعبئة الوسائل من أجل بلوغ الأهداف ذات القيمة.

وتترتب مشكلات المحافظة على النمط والتحكم في التوتر والعمل على التكامل بين أفعال الأعضاء وتترتب على الحقيقة التي مؤداها :أنه يوجد هناك دائما أكثر من شخص واحد في النسق الاجتماعي.

وبعبارة أخرى من المعترف به أن التفاعل الاجتماعي ذاته يثير مشكلات من داخل المجتمع، وهاتان المشكلتان ينظر إليهما على أنهما يتعلقان بالجوانب التعبيرية إلى حد كبير بمعنى المحافظة على القيم الاجتماعية وضبط التغيرات الانفعالية.

وعلى أي مجتمع لكي يحل هذه المشكلات ويحافظ بالتالي على وجوده أن يوفر أربع سمات رئيسة ، وهذه السمات البنائية في نظر **بارسونز** تتمثل في الأنساق الفرعية الرئيسة المتعلقة بالاقتصاد والسياسة والقرابة والتنظيمات الثقافية والمحلية.

وتؤدى النظم القرابية وظائف المحافظة على الأنماط المتوقعة للتفاعل الاجتماعي وتساعد على ضبط التوترات الشخصية المتبادلة إلى حد كبير من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والواقع أن عملية التنشئة الاجتماعية هي التي تشكل شخصيات من يلعبون الأدوار بالدافعية الكافية والالتزام بقيم المجتمع.

أما النظم الثقافية والمحلية مثل الدين المنظم والتعليم ووسائل الاتصال فهي تقوم بوظيفة العمل على التكامل بين العناصر المتباينة في النسق الاجتماعي وهذه النظم بإمكانها أن تشكل القيم الاجتماعية وتعمل على تدعيمها في الوقت نفسه.

وقد تكون هذه النظم في حاجة إلى مساعدة تتلقاها من الهيئات الرسمية الخاصة بالضبط الاجتماعي مثل قوى البوليس والجيش، أو من نظم قانونية خاصة بالمحاكم والتشريع خاصة إذا اتضح عدم كفاية هذه النظم الثقافية.

وتتأثر الشكل الخاص الذي تأخذه هذه الأنساق البنائية الفرعية أو النظم في أي مجتمع بنسق القيم الخاص بهذا المجتمع ، وكان **بارسونز** متأثر كثيرا بأعمال **دوركايم** لأن كلاهما كان يعتبر المجتمع في أساسه بمثابة كيان أخلاقي.

وعندما يشير **بارسونز** إلى بناء المجتمع بمعنى البناء الاجتماعي فإنه يشير إلى البناء المعياري بمعنى أنه يشير إلى بناء التوقعات الذي يتجسد في عملية لعب الأدوار وكل الأنساق النظامية الفرعية مثل القرابة والاقتصاد والسياسة المشار إليها سلفا تتكون من أدوار.

ويمكن أن يوضح الشكل التالي بالرسم الإطار التصوري للمجتمع أو النسق الاجتماعي عند بارسونز كما يلي-:

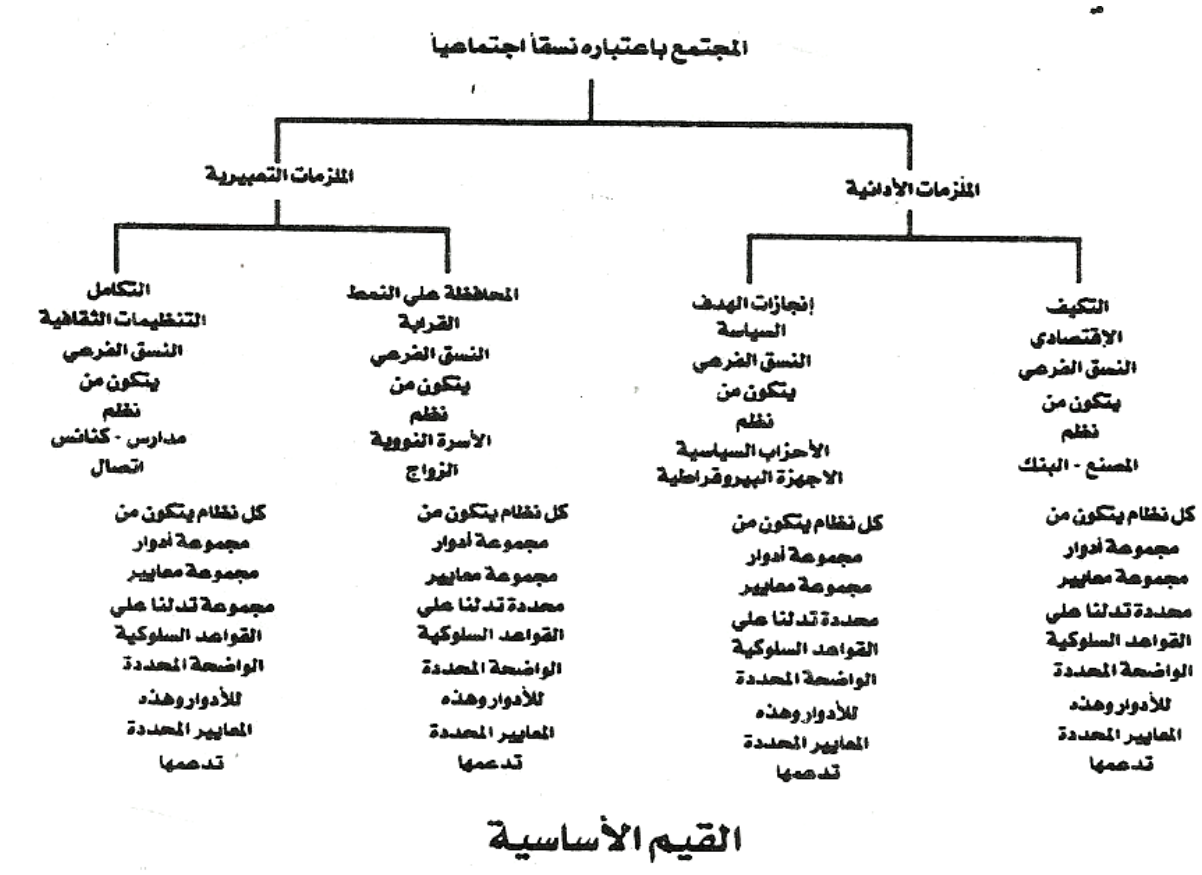

- **بارسونز** يوافق **دوركايم** في اعتباره أن نسق القيم في المجتمع بمثابة أحد خصائصه الجوهرية ، وفي نظر كلا العالمين يعتبر الاتفاق المشترك على قيم أساسية معينة سمة متكاملة أو تكوينية لأي مجتمع.

- ويعتبر الإجماع في نظرهما أيضا على القيم الأساسية بين أعضاء المجتمع بمثابة عنصر في تحديد المجتمع وبدون مثل هذا الاتفاق لا يكون هناك مجتمع.

2- يتوقف توازن النسق الاجتماعي على ميكانزمات التنشئة الاجتماعية والضبط:

- تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي بمثابة عمليات أساسية تسهم في بلوغ هذه الحالة النظرية للتوازن.

إذ يتعلم من يقومون بلعب الأدوار بمعنى أنه يتم تنشئتهم على التوقعات المرتبطة بالدور وهي عملية تدعمها الجزاءات الايجابية(الثواب) والسلبية(العقاب)لكل من يؤدى الدور والذين يعملون على تحقيق هذه التوقعات أو لا يحققونها.

وتتمثل المشكلة الرئيسة في مراقبة من يلعبون الأدوار وهم يعملون على تحقيق هذه التوقعات، ففي المجتمعات تامة التكامل تسخر المستويات الأعمق من الدوافع لإنجاز توقعات الدور ، وهكذا فهناك علاقة ضرورة بين شخصية الفرد والبناء الاجتماعي لمجتمعه عندما يكون في حالة توازن.

وبهذه الصياغة التصورية لعملية التنشئة الاجتماعية توافر لدى **بارسونز** أيضا إطارا نظريا يمكن استخدامه في دراسة وتفسير الانحراف ، فهو ينظر إلى المنحرفين على أنهم أولئك الذين لم يتم تنشئتهم اجتماعيا على نحو كافٍ.

وأولئك الذين يعتبر التزامهم بقيم ومعايير مجتمعهم غير كافياً، وكان هذا هو الافتراض المتعلق بطبيعة وأسباب الانحراف الذي أدي بعلماء الاجتماع إلى استخدام هذا المنظور في بحث ودراسة الخبرات المبكرة في الطفولة.

لأنه ينظر إلى الأسرة باعتبارها الإطار الذي تجرى فيه كل العمليات الأساسية للتنشئة الاجتماعية وتطوير الشخصيات الثابتة والالتزام بالقيم الاجتماعية.

3- يتوقف تكامل النسق الاجتماعي على ميكانزمات التساند بين أجزائه:

تتضح الأهمية التي يعلقها **بارسونز** على المعايير والقيم من خلال مفهوم متغيرات النمط، ويمدنا هذا المفهوم بأساس الإطار التصنيفي الذي يحدد فئات قيم ومعايير أي مجتمع.

وأكثر من ذلك يدعى **بارسونز** أن هذا الإطار لمتغيرات النمط يمكن أن تفيد في الكشف عن مقدار التكامل في المجتمع ، ويقرر **بارسونز** أنه يمكن تصنيف أي قيمة أو دور أو معيار أو نظام أو نسق فرعي في المجتمع أو حتى المجتمع ككل بواسطة هذا الإطار.

أن الأهمية الجوهرية لهذا الإطار تتضح في الطريقة التي تؤثر في المعايير والسمات الأخرى للأنساق الاجتماعية ويمكن لعالم الاجتماع خاصة أن يستخلص مقياساً للتناسب بين المعايير والقيم من خلال الاستعانة بهذا الإطار التصنيفي لمتغيرات النمط.

ويوضح الجدول التالي تصور بارسونز لمتغيرات النمط:

قيم النمط (أ)	قيم النمط (ب)
تميز القيم التعبيرية والمعايير بمعنى التركيز على الإشباع الانفعالي	تميز القيم الأدائية والمعايير بمعنى تأكيد أهداف الانجاز وانجاز الواجبات
النسب **Ascription**	الإنجاز **Achievement**
التركيز على خصائص وسمات الفاعلين من يكونوا؟	التأكيد على أداء الفاعلين ماذا يفعلون؟
الإنتشار **Diffuseness**	التخصص **Specilicity**
تأكيد العلاقات الواسعة ومعالجة نطاق أكبر من المصالح والأهداف. ونعنى العلاقات بين الأم والطفل	التأكيد على العلاقات المحدودة بين الطبيب والمريض مثلا
الاصطفائية **Particularism**	العالمية **Universalism**
تأكيد تنظيم العلاقات الخاصة مع فاعلين معينين ونعنى الولاء للأم	تأكيد تنظيم التفاعل طبقاً لمبادئ عامة. ونعنى معاملة كل شخص على أنه مساو لغيره أمام القانون.
العاطفة **Affectivity**	الحياد العاطفي **Affective Neutrality**
تأكيد اشباع العواطف	تأكيد تأجيل الاشباع بمعنى ضبط النفس
الاهتمام بالجماعة **Collectivitiy - Orientation**	الاهتمام بالذات **Sef-orientation**
تأكيد الجماعية بمعنى مجاراة المصالح المشتركة	تأكيد الفردية بمعنى مجاراة المصالح الخاصة.

وبالرغم أننا قد أشرنا إلى أن النموذج النظري عند **بارسونز** المتعلق بالنسق الاجتماعي يشير إلى المجتمعات في جملتها ، ومن المهم أن نذكر أنه قد إدعى أن هذا النموذج يمكن تطبيقه في التحليل على مختلف المستويات النظامية (القرابة)ومختلف النظم(الزواج.)

وحتى على العلاقات بين أدوار شخصين اثنين مثل الزوج والزوجة، هذه الإمكانية العامة لتطبيق تصوره للنسق الاجتماعي توضح مرة ثانية كيف قدم **بارسونز** وزود علماء الاجتماع بمجموعة أكثر تفصيلاً من المفهومات تجاوزت ما كان متاحاً من قبل، تساعد على فهم طبيعة السلوك الاجتماعي من داخل منظور الإجماع.

والخلاصة أنه قد وجد النقد لبارسونز أساساً لأنه قدم لنا إطاراً نظرياً مجرداً يصعب تطبيقه في البحث الأمبيريقي وسوف نعرض في الأقسام التالية لهذه الانتقادات من خلال فحص أو مراجعة بعض البحوث التي استعانت بهذا المنظور للإجماع ، وسوف نبدأ على أية حال بدفاع ميرتون وبتعديله المقترح للمدخل الوظيفي لكي يناسب البحث السوسيولوجي.

رابعاً :نقد وتعديل البنائية الوظيفية عند روبرت ميرتون

ادعى(روبرت ميرتون)أن الإطار النظري من النوع الذي قدمه بارسونز لا يساعد على القيام بأعبائنا الواقعية في علم الاجتماع ، بمعنى القيام بإجراء البحوث السوسيولوجية.

ذهب **ميرتون** إلى **أن التحليل الوظيفي يعتبر بمثابة مدخل سوسيولوجي** لكن هدفه لم يتحقق لأنه مازال بعيداً عن الدقة المنهجية ، ويرجع هذا النقص المنهجي أساسا إلى المفهومات والافتراضات غير الدقيقة والمشوشة.

ومن هنا قدم قائمة يمكن مراجعتها تحدد ما لا يمكن أو يمكن عمله عند دراسة أي ظاهرة في ضوء الإطار الوظيفي، ولقد أطلق على **هذه القائمة المنسقة** التي يمكن مراجعتها من المفهومات والإجراءات **اسم النموذج القياسي.**

فهناك مشكلة تواجه **مفهوم الوظيفة ذاته،** لأنه قد **استخدم بمعان وطرق كثيرة ومختلفة** ، تبدأ بالمهنة والحدث المفرح، والنشاطات التي تنجز من خلال الدور أو المنصب وتشير أيضا إلى الدوافع والمقاصد والأهداف.

واقترح **ميرتون** أن نحصر هذا المفهوم فقط في تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها للأحداث الاجتماعية أو الترتيبات التي توضع من أجل تكيف أو توافق نسق ما(الجماعة أو المجتمع.)

وهناك أيضا مشكلات ترتبط بالفروض العامة التي صاغها الوظيفيون .ويذهب ميرتون إلى أن هناك على الأقل ثلاثة افتراضات مضللة في التحليل الوظيفي والتي حاول أن يعالجها ، **وهذه الافتراضات هي-:**

1- افتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع: FUNCTIONAL UNITY OF SOCIETY

وهناك افتراض شائع وخاصة بين **الأنثروبولوجيين** بأن كل المعتقدات المقننة(العناصر الثقافية)أو الأساليب الموحدة(الأدوار والمنظم والأنشطة الاجتماعية)**تعتبر وظيفة بالنسبة للنسق الثقافي أو الاجتماعي في جملته.**

والمشكلة التي تواجه هذا الافتراض أنه قد يصدق عموما على المجتمعات البدائية والصغيرة لكنه يفقد معناه بالنسبة للمجتمعات المعقدة والكبيرة، فقد لا تكون كثير من العناصر وظيفية بالنسبة للنسق في جملته وإنما قد تكون كذلك بالنسبة لأحد أجزائه فقط.

وبخاصة في المجتمع الصناعي الحديث الذي يمتاز بالتعقيد وزيادة التمايز وهكذا، وعندما نبحث عن وظيفة نشاط معين أو ترتيب أو معقد قد يكفي أن نفحص نتائجه بالنسبة لوحدة معينة فقط، أو جزء من أجزاء المجتمع ككل.

لا بد لعالم الاجتماع عندما يقول أن عنصر معين يعتبر وظيفياً ، أن يحدد الوحدة التي يعنيها، لأنه قد يكون وظيفيا فقط بالنسبة لنظام معين أو جماعة أو أسرة واحدة أو مدرسة.

فمثلاً القول بأن المعتقد الديني والنشاطات الطقوسية تعد وظيفية بالنسبة للمجتمع الذي تعمل فيه على دعم التضامن بالنسبة لكل أعضاء هذا المجتمع ، لكن هذا لا ينطبق في حالة ايرلندا الشمالية حيث تعمل الفروق الدينية على تقسيم المجتمع.

2- افتراض الوظيفية الشاملة UNIVERSAL FUNCTIONALISM

ويرتبط هذا الافتراض ارتباطا وثيقا بافتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع ويصعب فصله عنه، إذ من المفترض أن نجد وظائف ايجابية لأي عنصر اجتماعي.

ويستشهد ميرتون مثلاً بافتراض(كلوكوهن)بأن الأزرار التي توضع على كُمْ معطف الرجل تحقق وظيفة ايجابية لأنها تحافظ على المألوف وعلى مشاعر القديم، ولكن ليست كل العناصر بالضرورة تحقق وظائف ايجابية.

وما ينبغي على عالم الاجتماع أن يفعله طبقا لرأي ميرتون أن يوازن بين الوظائف الايجابية وغير الوظيفية أو المعوقة قبل أن يقرر ما إذا كان هذا العنصر وظيفيا أم لا، مع العناية بالطبع بتحديد أي الوحدات يخصها بالإشارة على وجه الدقة.

3- افتراض الضرورة الوظيفية: INDISPENSABILITY

وهذا الافتراض يخلط بين الأفكار التالية-:

أ -الملزمات الوظيفية : **PREREQUISITE** بمعنى أن هناك وظائف أساسية محددة ينبغي تحقيقها إذا كان على وحدة معينة(مجتمع أو جماعة) أن تستمر أو يكتب لها البقاء.

ب -الأشكال الاجتماعية / نظم / أساليب : إذ ينبغي مثلا أن يكون للمجتمع بعض الترتيبات المنظمة التي تضمن له تحقيق الملزمات الوظيفية مثل الإنتاج وتوزيع الطعام وغير ذلك من الموارد النادرة ، غير أن هناك طرق كثيرة ونماذج عديدة من الترتيبات الاجتماعية الملموسة والواقعية لإنجاز هذه الملزمات.

ج -الوظائف الظاهرة والكامنة MANIFEST & LATENT FUNCTIONS

ويضيف ميرتون بالنسبة للتحليل الوظيفي أنه في بحوثنا قد نميز بين **الوظائف الظاهرة التي تعتبر معترفا بها ومقصودة من جانب الأفراد المعنيين** وبين الوظائف الكامنة التي تمثل النتائج غير المقصودة وغير المعترف بها للسلوك الاجتماعي.

(امثلة للاطلاع) خامساً :توجيه البنائية الوظيفية لتيار البحث في علم الاجتماع

1- الانحراف والمحافظة على النسق عند كاى اريكسون.

قام اريكسون بدراسة إحدى قرى ماساشوتش التي يدين أهلها بالبروتستانتية منذ القرن السابع عشر، ونظر إليها على أنها نسق اجتماعي له تكوينه الخاص وحاول أن يوضح كيف أن معدلات الجريمة يمكن أن تحقق وظيفة ايجابية في الحفاظ على تكامل هذا النسق عبر الزمن.

بالإمكان النظر إلى القانون وقوة البوليس وغيرها باعتبارها أمثلة نموذجية عن هيئات الضبط الاجتماعي التي تعمل على المحافظة على حدود المجتمع.

وقام اريكسون في دراسته بتحليل **ثلاث موجات** مختلفة للجريمة ، **موجه الجدل والنقاش** التي تهدف إلى معارضة القانون في عام 1636 م ، **وموجه اضطهاد المرتدين** عام 1650م، **وموجه جنون السحر** عام 1960 م.

ولقد نظر اريكسون إلى كل موجه منها على أنها محاولة من جانب أعضاء المجتمع المحلي(القرية)لإعادة تحديد حدود مجتمعهم .وإعادة تثبيت القيم المشتركة بينهم.

وهذا التحليل يدعم الفكرة القائلة بأن المجتمع يحتمل أن يكون في حاجة إلى المنحرفين . لأنه ينشط محاولات ضبطهم في توفير الحدود للسلوك المتوقع والمقبول بالنسبة لكل الأعضاء الآخرين . وهكذا يقوم الانحراف بوظيفة المحافظة على الإجماع في المجتمع.

2- مدخل الاجماع وفهم التغير الاجتماعي عند نيل سملسر:

وتوضح أعمال سملسر أن عالم الاجتماع الذي يستعين بمنظور الإجماع يستطيع أن يتناول بالدراسة مشكلة التغير الاجتماعي ، فلقد استعان بمفهومات النسق الاجتماعي والتمايز البنائي في النظر إلى المشكلة على أنها تتعلق بعمليات التوافق التكيفي.

ولقد طبق **سملسر** هذا الإطار النظري والذي عرض له في كتابه عن **التغير الاجتماعي :** على التطور الصناعي لصناعة القطن في لانكشير (مقاطعة إنجليزية)خلال الفترة من 1840 - 1770م.

3- النظرية الوظيفيو للتدرج الاجتماعي ل (دى ديفنز ومور)

قد أسهم كل من **دى ديفنز ومور وبارسونز** باقتراح النظرية الوظيفية للتدرج الاجتماعي ، ومع ذلك فهي تشبه الكثير من أنواع التحليلات التي ترتبت على استخدام منظور الإجماع المشتق من أعمال **دوركايم.**

وينظر إلى التدرج الاجتماعي مثل الجريمة باعتباره سمة مشتركة لكل المجتمعات ولذلك فهو يعتبر بمثابة سمة طبيعية للمجتمع، والمفترض أنه يقوم بتحقيق بعض الوظائف الايجابية أو حاجات المجتمع.

وكل مجتمع ليس فقط في حاجة إلى التباين الاجتماعي وإنما يمكن أيضا اعتبار هذا التباين سمة واقعية في كل المجتمعات التي نعرفها، ولذلك فالتباين الاجتماعي أو اللا مساواة تعتبر ظاهرة عامة وضرورية في المجتمع.

الخلاصة:

لقد أوضحنا حتى الآن وجهة النظر التي تقر كيف أن عالم الاجتماع يدخل إلى دراسة الحياة الاجتماعية وقد اعتمد على افتراضات تصورية ونظرية يضعها حول المجتمع والسلوك الاجتماعي ، وذهبنا إلى أن هناك مجموعة من الكتابات التي عرفت باسم البنائية قد تأخذ بمنظور الإجماع لأنها تستند إلى الافتراضات التالية-:

أ- يعد الإجماع على القيم الأساسية بمثابة السمة الأساسية التي تربط أجزاء المجتمع معاً وتحافظ على نظامه.

ب- يمكن النظر إلى المجتمع على أنه نسق متكامل يتكون من أجزاء معتمدة فيما بينها.

ولقد تتبعنا نمو وتطور هذا المنظور بدءاً من الرواد الأوائل في علم الاجتماع حتى أولئك الذين ساهموا في الوقت الحاضر في تطبيق هذا المدخل وأوضحوا الطرق التي يميلون بها إلى تناول ودراسة مجالات أساسية مثل الأسرة والدين والتدرج الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والانحراف والتغير الاجتماعي.

المحاضرة التاسعة ؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛استكمال البنائية الوظيفية – الوضوح والأزمة(الجزء الأخير)

سادساً :أزمة البنائية الوظيفة وظهور نماذج نظرية جديدة.

انتشرت **البنائية الوظيفية** في الجامعات الأمريكية باعتبارها نظرية وحيدة وفريدة ومشتركة **وممثلة لعلم الاجتماع الأمريكي** ووجهت موجه البحث خلال فترة امتدت من نهاية الأربعينات حتى بداية الستينيات، ولقد بلغ تأثيرها ذروته في خلال هذه الفترة.

بل امتدت لتشمل علماء الاجتماع الأكاديميين من العالم أجمع، ويرد هذا الانتشار والتأثير إلى **الدور الذي لعبته البنائية الوظيفية كبديل أمريكي للماركسية** في الوقت الذي كانت فيه الأخيرة هي النظرية الاجتماعية الكبرى والقائمة والمعروفة لكثير من المفكرين في الغرب والتي استند إليها الخصوم العالميين للرأسمالية.

ومع حلول الستينيات وقعت أحداث هامة وتغيرات داخل وخارج الولايات المتحدة ترتب عليها **تغير في الاتجاه البنائي الوظيفي نفسه، وفي الموقف الأكاديمي والقومي من هذا الاتجاه**، وظهرت الحاجة إلى اتجاه نظري جديد ليوجه البحث السوسيولوجي في هذه المرحلة.

ففي خارج الولايات المتحدة أصبح للاتحاد السوفيتي قوى هائلة واشتد تأثيرها ليشمل نصف بلاد الكرة الأرضية ، وازدهرت الدول الأفروأسيوية الاشتراكية ونشب الصراع الفيتنامي ، وبدأت الولايات المتحدة نفسها تحل سياسة الجار الطيب محل سياستها القديمة.

وفي داخل الولايات المتحدة تضخمت قوى الزنوج وسحبت تأييدها للقيادة السياسية القومية ، ونشبت ثورة الحقوق المدنية والحرب على الفقر وثارت حركة الشباب الأمريكي، وظهرت الحركات الطلابية واليسار الجديد.

وتبلورت الحاجات المتشابكة والمعقدة لدولة الرفاهية في قيام الاقتصاد على التخطيط الحكومي وازدياد الحاجة إلى التكنولوجيا ودورها البارز في المجتمع الصناعي، وتدعيم هيئتها بالتكنولوجيين الذين يلتزمون بالنظام القائم على التخطيط المركزي.

وازدياد مسئوليتها تجاه تمويل الحلول التكنولوجية للمشكلات الاجتماعية الجديدة وبخاصة تلك التي تتفق مع مسلمات الصفوة البيروقراطية في البناء التحتي لهذه الدولة ، وتأكيد الحاجة إلى تأييد العلوم الاجتماعية وإلى نظرية جدية تهتم بالكيفية التي تتغير بها الظروف الراهنة إلى ما هو أفضل.

والمعاونة في التغلب على المشاكل القومية المعترف بها والمعلن عنها، وكذلك السيطرة على التوترات الاجتماعية والصراعات بطريقة مسبقة وإحداث إصلاحات اجتماعية معينة عن طريق التغيير المخطط والمستمر ومواجهة الضغط الذي تمارسه الطبقات الاجتماعية المحرومة نسبيا زنوجاً وعمالا.

وكذلك الجيوب التي تقاوم هذا التغيير عن طريق الإفلات من الضرائب، هذا فضلاً عن تحديد الكيفية التي يمكن توسيع نطاق القوى الأمريكية في الخارج بطريقة مباشرة وغير مباشرة من خلال أوجه النشاط الحكومي القومي والهيئات الدولية مثل اليونسكو .وذلك بهدف التفوق على الاتحاد السوفيتي في التحكم وتوجيه التصنيع في بلاد العالم الثالث وكسب تأييد القوى الرئيسة التي قد تمتعت بها بعض هذه البلاد.

أزمة البنائية الوظيفية.

لما كانت البنائية الوظيفية في كل تطوراتها وباعتبارها وريثة للاتجاه الوضعي، وحتى مع تطورها في الانثروبولوجيا الانجليزية وفي صياغة دوركايم لها خلال الفترة الكلاسيكية لعلم الاجتماع أقل اهتماما بالدولة وأهمية دورها ومسئولياتها فيما يتعلق بإدارة وتوجيه الاقتصاد وحل المشكلات الاجتماعية.

وكانت أيضا تؤكد دور القيم الأخلاقية وتتصور أن المشاكل الاجتماعية راجعة إلى انهيار نسق القيم وعيوب عملية التنشئة الاجتماعية .وتبين كذلك أن هذه الميكانزمات التلقائية هي التي تحافظ على النظام في المجتمع وتصل به إلى المستوى الأفضل بدون تخيط رشيد وتدخل حكومي...الخ.

فإنه يمكن لنا أن ندرك مدى التعارض بين المسلمات البنائية الوظيفية وبين حاجات دولة الرفاهية وإن كان هذا التعارض أمر متوقع لأن البنائية الوظيفية كان لها جذورها في بناء العواطف والمسلمات المشتقة من الخبرة الشخصية والتنشئة الاجتماعية في الدولة السابقة على دولة الرفاهية.

حيث كانت تأخذ بالنزعة الإرادية التي تمجد النضال الفردي، وتجعل من متطلبات المشروع الحر متطلبات مثالية، وكلاهما ينتميان إلى تصور السوق الحر واقتصاد دعه يعمل، الذي وجده بارسونز أن مجتمعه عموما اختلط من أجله .ومن هنا كان يرى البعض أن البنائية الوظيفية تنطوي على تبرير أيديولوجي للوضع القائم عندما تصورت الأنساق على شاكلة المشروعات المنظمة في اقتصاد السوق.

إلا أن هذا التعارض من ناحية أخرى والخلاف بين حاجات دولة الرفاهية ومسلمات البنائية الوظيفية جعل علماء الاجتماع في أوروبا الغربية وأمريكا يحسون أن علمهم دخل عصر الأزمات والمتاعب وأنه يمر بفترة أزمة مماثلة للفترة السابقة على ظهور نموذج تصوري جديد يوجه البحث السوسيولوجي في ظل دولة الرفاهية بدون أن يتعارض معها.

فحدثت بينهم ردود فعل واستجابات مختلفة بين رد الفعل الثوري والثوري المضاد ، ورد فعل بارسونز نفسه ثم محاولة صياغة نماذج نظرية جديدة.

الاتجاه الثوري:

لرد الفعل الثوري عدة مظاهر تتجلى في تيار النقد الهجومي الشديد الذي بدأ يظهر مع حلول الستينيات والمنصرف نحو البنائية الوظيفية وتصورها للنسق.

وظهر في حالة السخط والشعور بالغربة التي سادت بين علماء الاجتماع الشبان على علم الاجتماع الأكاديمي عموما والوظيفية بوجه خاص، والتي تبلورت في تكوين الخلايا الجماعية المنظمة والحركة الراديكالية واليسار الجديد المتفرع عنها، كما تجلت هذه الثورة قبل ذلك في المواقف النقدية لبعض تلامذة بارسونز القدامى من البنائية الوظيفية.

كان تيار النقد الذي ظهر في بدايات الستينيات يحاول كشف الصورة شبه الأيديولوجية للبنائية الوظيفية باعتبارها تقدم تبريراً للنزعة المحافظة التي سادت الفترة السابقة من تطور علم الاجتماع الأمريكي في أوروبا الغربية.

وقاد عملية توجيه انتباه العلماء الاجتماعيين نحو الضبط الاجتماعي والاهتمام بعملية التكيف مع الوضع القائم وانصراف نظرهم عن التغير الاجتماعي والصراع ، وتدفقت عن هذا التيار مقالات **ميردال وميل وروتنج** وكثيرين غيرهم .وتعد **الحركة الراديكالية أو حركة تحرير علم الاجتماع** والتي تفرع عنها اليسار الجديد بمثابة ظاهرة عالمية انتشرت في العالم اليوم **كحركة اجتماعية** لها مجموعة متباينة من الاتجاهات السياسية.

وتستند إلى مجموعة من الأبنية السفلية والمسلمات السائدة في ذلك الوقت ، وترتبط بالتغيرات والأحداث التي طرأت على البناء الثقافي والاجتماعي للمجتمع، وتؤكد قيم المساواة والحرية والجماعية والديمقراطية الكرامة والابتكار وتفادى كل ما يحط من شأن القيم الإنسانية وحرية المجتمع.

وتتطلع إلى العلاقات الإنسانية الدافئة بدلاً من النظام الرشيد في المهن والمنشآت البيروقراطية ويحدوها الأمل في بناء مجتمع جديد .وإذا كانت هذه الحركة قد ارتبطت بفكر ماركس الشاب فإنها رفضت الجانب السياسي في الماركسية التاريخية وبدلاً من أن تستمد تأييدها من الطبقة العاملة استمدته من نمو دولة الرفاهية ومن فئات اجتماعية مثل الطلاب والسود والمغتربين وبعض الأغنياء والفنانين وغيرهم من الفئات التي تنادى بالتغير الاجتماعي.

ويهتم بنقد الأوضاع الداخلية والسياسات القومية الخارجية والرسمية، والسلطة والتدرج والامتثال للقيم .ومن هنا كانت الحركة الراديكالية واليسار الجديد يناسب الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه.

وهذا ما ظهر في مؤلفات **دافيز وجابريل كوهين** أحد قادة العصيان الطلابي في فرنسا عام 1968 م ، ولم تكن هذه الثورة جديدة على البنائية الوظيفية وإنما سبق إليها بعض تلاميذ بارسونز القدامى والمنتمين إلى مجموعته الأساسية حين حاولوا انتقاد البنائية الوظيفية وأعلنوا صراحة تنازلهم عنها نتيجة للحالة غير الطبيعية التي وصلت إليها.

ومن هنا أنكر(**كنجزلى دافيز**)وجود نظرية يمكن أن يطلق عليها التحليل الوظيفي ويسهل تمييزها عن غيرها من نظريات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا لأن الاتفاق على المقصود بالتحليل الوظيفي أصبح أمراً بالغ الصعوبة.

الاتجاه الثوري المضاد:

وعلى الرغم من أن الاتجاه الثوري قد ترك أثره على حالة التماسك والوحدة التي سادت بين الباحثين في علم الاجتماع الغربي منذ الحرب العالمية الثانية.

والتي جمعت بينهم حول التصور البنائي الوظيفي للنسق المتوازن إلا أن الميدان لم يخل من فريق آخر من الباحثين الملتزمين بهذا التصور وهم الذين حاولوا المحافظة على حالة التماسك السابقة عن طريق مواجهة الاتجاه الثوري على تصور النسق الثابت بثورة مضادة.

وانصرفت نحو إدخال سلسلة مطولة من التعديلات على المضامين الخاصة بالبنائية الوظيفية في تحليل النسق الثابت والمتوازن ، وما اعتقدوا أنه قد يفيد في تحليل النسق المتغير . ولقد تدفق عن تيار الثورة المضادة مقالات ومؤلفات **كانسيان وبراديمير وسملسر وفالدينج وكوزر وفانديبرج كثيرين غيرهم،** إذ أنفق **سملسر** في مقاله" **نحو نظرية عامة للتغير الاجتماعي** "الكثير من وقته في تقنين الماركسية والتوحيد بينها وبين الوظيفية.

وعندما اهتم **كوزر** بتحليل الصراع فإنه ركز أساسا على وظائف الصراع دون معوقاته أو انصرف باهتمامه نحو تلك الآثار التي يحدثها الصراع الاجتماعي والتي يترتب عليها زيادة في تكيف العلاقات الاجتماعية والجماعات .وأوضح أن للصراع عدد من الوظائف أهمها إسهامه في الحفاظ على حدود الجماعة وأنه يحول دون انسحاب أعضاء الجماعة منها، وكان **فالدينج** طموحا للغاية في محاولته تصور حالة للتعايش السلمي بين **بارسونز وميلز.**

وكان **فانديبرج** يعتقد أنه يمكن التوفيق بين البنائية الوظيفية والراديكالية لأن كل منهما بمثابة وجهة نظر لدراسة المجتمع من جانب واحد ، ومن ثم فهما يكملان بعضهما وأن دراسة الاتفاق والتداخل بينهما قد يشير إلى بداية تمهد للتأليف المثمر بينهما.

الاتجاه البارسونى المعدل.

لم يقف **بارسونز** من أزمة البنائية الوظيفية جامداً، بل قدم بعض الإسهامات التي حاول بها توسيع تصوره للنسق المتوازن ليشمل قضية التغير البنائي عن طريق وضع الأنساق الاجتماعية في الإطار الأكبر للتطور الاجتماعي.

وفي مقدمة هذه الإسهامات مقالاته**" عن بعض الاعتبارات حول نظرية التغير الاجتماعي عام " 1961 و " القوانين التطورية في المجتمع عام " 1964** ويذهب بارسونز في مقاله الأخير إلى أن التطور يمر بمرحلتين اثنتين متعاقبتين.

مرحلة البداية وهي المرحلة المرتبطة بالمجتمع البدائي أو القبلي ، وتتميز بسيادة نظام القرابة ، والتي تستند فيها المكانة الاجتماعية إلى معايير القرابة والنسب .وهذه المرحلة بمثابة نقطة الانطلاق لمرحلة التطور الثانية تلك التي تشكل كل ما يجيء بعد المرحلة الأولى.

والتي تظهر نتيجة لأثر التبرير الشرعي والثقافي للوظائف الاجتماعية السياسية المتمايزة، وتسمى التدرج الاجتماعي المتميز ، ذلك التدرج الذي يحدث أولاً وكشرط لشرعية الوظائف.

ثم يحدد **بارسونز** أربعة قوانين أخرى للتطور تؤثر في هذه المرحلة ، وهي **أنساق السوق ورأس المال والبيروقراطية والاتحاد الديمقراطي والقانون،** هذا فضلاً عن المتطلبات السابقة على **التطوير الثقافي والاجتماعي التي يحصرها في التكنولوجيا واللغة والقرابة والدين.**

وإذا كان البعض يرى من ناحية أن إسهام بارسونز الجديد هذا ينطوي على جوانب التقاء مع الماركسية وخاصة عندما تذكر الماركسية بأنه يمكن التمييز بين مرحلتين في التاريخ وهما مرحلة المجتمعات العتيقة ثم المرحلة اللاحقة لكل التاريخ المعروف وعندما تؤكد أهمية انساق علاقات الإنتاج والأسرة واللغة والدين.

إلا أنه يشير من ناحية إلى أن هذا الإسهام البارسونى الجديد يعتمد على ميكانزمات التطور دون الثورة ، ويحصر العوامل الجوهرية لبناء المجتمعات الحديثة في التنظيمات البيروقراطية وهذه العوامل متوافرة في المجتمع الأمريكي باعتباره يمثل ذروة النمو التطوري.

والنتيجة التي يمكن استخلاصها من هذا الإسهام الجديد أن **بارسونز** يحاول أن يبرهن مستعينا بالقوانين التطورية على تفوق النسق الأمريكي على النسق الروسي.

الأمر الذي يمكن القول معه أن اتجاه **بارسونز** الجديد منح أوروبا الغربية وأمريكا ثمناً عزائياً ونصراً نظرياً في مقابل النصر الحقيقي السياسي والاجتماعي والتكنولوجي الذي حققته روسيا بالفعل.

الاتجاه النظري الجديد:

مال بعض العلماء الاجتماع الآخرين إلى توجيه استجاباتهم لأزمة علمهم وجهة أخرى تمثلت في محاولتهم بلورة نماذج نظرية جديدة تماما تتميز بالشمول والراديكالية وباختلاف مسلماتها وأفكارها الرئيسة عن مسلمات وأفكار البنائية الوظيفية.

ولقد لمعت شخصية**(ألفرينج جوفمان)**بين زملائه **وارفولد جارفينكل و جورج هومانز)** وغيرهم الذين اشتهروا بمحاولتهم صياغة مثل هذه النماذج الجديدة.

نموذج جوفمان:

اعتبر **جوفمان** المسرح النموذج لفهم الحياة الاجتماعية ولذلك يحدد نقطة الانطلاق في تحليله في دخول الفرد ذاته على الآخرين ، ويركز على ما يحدث في هذا الموقف من تصرفات وسلوك يعبر بها الفرد عن ذاته بقصد أو بغير قصد، ومدى تأثر الآخرين بهذا السلوك وبمظهر الفرد نفسه.

ويذهب إلى أن الأفراد في هذا الموقف يناضلون من أجل توصيل صورة مقنعة عن ذواتهم إلى الآخرين ، بمعنى أنهم لا يحاولون عمل شيء بقدر ما يحاولون أن يكونوا شيئا ما، وهم بهذا يلعبون أدواراً معينة ويشاركون في الألعاب بهدف رفع قيمة الذات وذلك دون الاعتماد على الأخلاق والاحترام.

وإنما على إثارة الشعور الضئيل بالشفقة المتبادل بين الناس وبعضهم البعض، ومن ثم تصبح الحياة الاجتماعية أو الواقع بمثابة مجموعة من قواعد الألعاب التي يمكن التحكم فيها من ناحية أكثر منها مجموعة من الالتزامات الأخلاقية التي يمكن الإحساس بأثرها.

إذ تصبح هذه الحياة بمثابة عملية تفاعل بين مجموعة من الجواسيس الذين يسعى كل واحد منهم نحو إقناع الآخرين بأن ما يدعيه هو حق، وذلك من خلال النفاذ إلى ذواتهم ، إذن ليست الأخلاق هي التي تربط الناس ببعضهم وإنما قدرة الأفراد على إقناع بعضهم الآخر بأن أدائهم قد بلغ المستويات إلا المتوقعة هي التي تربط بينهم.

ويعتبر إذن الموقف أساس فهم الحياة وذلك باعتبارها تمارس في دائرة شخصية ضيقة وغير تاريخية ونظامية، وتستمر في سيولة كحالة عابرة ، فالحياة الاجتماعية ليست بمثابة أبنية اجتماعية ثابتة ومحددة وإنما هي شبكة مهلهلة تدفع في تأرجح عبر ممر ضيق يرقبها الأفراد في حذر ، كما أن الأفراد ليسوا نتاجا للنسق وإنما هم منفصلين ومغتربين عنه...

والواقع أن **جوفمان** كان يريد بهذه النظرية تناول أولئك الأفراد الذين يعيشون ويتعاملون مع التنظيمات البيروقراطية الكبيرة الحجم ذات القوة الساحقة التي يقل تأثير الأفراد فيها، ويحاول بها البحث عن كيفية توافق الأفراد معها وبداخلها.

نموذج جارفينكل

تعد **نظرية جارفينكل بمثابة إطار مرجعي بديل للبنائية الوظيفية ذلك لأنها تعتبر عملية ممارسة الحياة اليومية** بواسطة وسائل يبني بها الفاعلين عالمهم ويشيدون واقعهم أمراً مشكلاً، وذلك على خلاف البنائية التي كانت تسلم جدلاً بهذه العملية على أنها أمر معطى.

وكان جارفينكل في اهتمامه بالنظام الاجتماعي ومتطلباته يتخذ موقعا راديكاليا بحيث لا نجده يدرس القيم الأخلاقية المشتركة كأساس لهذا النظام ، وإنما **يقوم بالبحث الدقيق عن بناء الفعل الاجتماعي في ثنايا اللغة - لغة الحديث اليومية - كوسيط للتفاعل الاجتماعي.**

بحيث أنه كان يحاول **الكشف عن العلاقات المعقدة بين التفكير والعقل ويربط بينهما في عملية المحادثة بين الأفراد،** ويبحث عن الأبنية التي يمكن بواسطتها التعبير عن مشاعرهم، ويوصلون بواسطتها ما يريدون للآخرين.

وأن صياغة المحادثات في هذه الأبنية يضع يدنا على الظواهر التي يمكن ملاحظتها ووضع تقارير عنها ، إذن يركز **جارفينكل على الحياة اليومية ويسعى إلى فهم المواقف الاجتماعية من الداخل كما هي، وكما تظهر للأفراد الذين يعيشونها.**

ويحاول الكشف عن **القواعد الضمنية التي تحكم التفاعل الاجتماعي وتحدد مدى دلالتها** بالنسبة للأشخاص الذين يدخلون في هذا التفاعل **ويستخدم جارفينكل مناهج الفطرة السليمة والبرهنة** ، أو بعبارة أخرى يستخدم ما يطلق عليه الإثنوميثودولوجيا في استخلاص وصياغة قضايا نظرية.

الخاتمة:

تلخيص أهم النقاط في:

النظرية البنائية الوظيفية ونقدها وتعديلاتها وأهم التطورات عليها

بارسونز ووضوح البناء الفرضي للبنائية الوظيفية

أن تالكوت بارسونز قد أضاف إسهامات رئيسة إلى تطور منظور الإجماع من خلال بلورته المفضلة لإطاره التصوري الأساسي ومحاولته تنسيق الأفكار الأساسية والفروض التي قدمها العلماء الآخرون والمناصرون لمنظور الإجماع في إطار نظري متماسك.

1.المجتمع نسق اجتماعي معياري:

•أشار **بارسونز** إلى أنه بالإمكان تحليل المجتمعات باعتبارها أنساقا اجتماعية وأنه إذا كان على أي نسق اجتماعي أن يستمر عليه أن يعمل على تحقيق أربعة شروط أساسية.

أو بعبارة أخرى عليه أن يتغلب على أربع مشاكل أساسية، ولقد أطلق على هذه المشكلات أو الشروط اسم الملزمات الوظيفية أو المتطلبات الوظيفية وهذه الملزمات لا تهم التنظيم الاجتماعي فقط، وإنما تتعلق بالحاجات الشخصية لأعضاء المجتمع أيضا وهذه المشكلات الأربع هي-:

أ . التكيف مع البيئةAdaption to the environment :

على كل مجتمع أن يحقق الحاجات الطبيعية لأعضائه إذا كان عليه أن يستمر ولكي يحقق ذلك عليه أن يضع الترتيبات اللازمة مع بيئته الطبيعية .ويعتبر الغذاء والمأوى بمثابة حد أدنى من هذه المتطلبات وعادة ما يشتمل مجالها على الأنساق الفرعية الخاصة بالإنتاج والتوزيع.

ب -إنجاز الهدف: Goal Attainment

ينبغي على أي مجتمع أن يتوصل إلى بعض الاتفاق المشترك بين أعضائه حول أهدافهم وأولوياتهم وهكذا عليهم أن يوفروا الترتيبات الضرورية للتعرف على واختيار تحديد هذه الأهداف الجمعية وتوفير الترتيبات البنائية الضرورية لبلوغ هذه الأهداف.

ج -المحافظة على النمط وإدارة التوترPattern Maintenance & Tension Management :

على كل مجتمع أن يتأكد من أن أعضائه متحفزين ما فيه الكفاية لأداء الأدوار الضرورية المطلوبة ولتحقيق الالتزام الضروري بالقيم في هذا المجتمع.

د -التكامل: Integration

ولكي يحافظ أي مجتمع على وجوده عليه أن يضمن قدراً من التعاون والضبط بين العناصر الداخلية للأجزاء المختلفة من النسق الاجتماعي.

وعلى أي مجتمع لكي يحل هذه المشكلات ويحافظ بالتالي على وجوده أن يوفر أربع سمات رئيسة ، وهذه السمات البنائية في نظر **بارسونز** تتمثل في الأنساق الفرعية الرئيسة المتعلقة بالاقتصاد والسياسة والقرابة والتنظيمات الثقافية والمحلية.

•**بارسونز يوافق دوركايم** في اعتباره أن نسق القيم في المجتمع بمثابة أحد خصائصه الجوهرية ، وفي نظر كلا العالمين يعتبر الاتفاق المشترك على قيم أساسية معينة سمة متكاملة أو تكوينية لأي مجتمع.

٢- يتوقف توازن النسق الاجتماعي على ميكانزمات التنشئة الاجتماعية والضبط:

•تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي بمثابة عمليات أساسية تسهم في بلوغ هذه الحالة النظرية للتوازن.

إذ يتعلم من يقومون بلعب الأدوار بمعنى أنه يتم تنشئتهم على التوقعات المرتبطة بالدور وهي عملية تدعمها الجزاءات الايجابية(الثواب) والسلبية(العقاب)لكل من يؤدى الدور والذين يعملون على تحقيق هذه التوقعات أو لا يحققونها.

وبهذه الصياغة التصورية لعملية التنشئة الاجتماعية توافر لدى **بارسونز** أيضا إطارا نظريا يمكن استخدامه في دراسة وتفسير الانحراف ، فهو ينظر إلى المنحرفين على أنهم أولئك الذين لم يتم تنشئتهم اجتماعيا على نحو كافٍ.

٣- يتوقف تكامل النسق الاجتماعي على ميكانزمات التساند بين أجزائه:

تتضح الأهمية التي يعلقها **بارسونز** على المعايير والقيم من خلال مفهوم متغيرات النمط، ويمدنا هذا المفهوم بأساس الإطار التصنيفي الذي يحدد فئات قيم ومعايير أي مجتمع.

نقد وتعديل البنائية الوظيفية عند روبرت ميرتون

ادعى(روبرت ميرتون)أن الإطار النظري من النوع الذي قدمه بارسونز لا يساعد على القيام بأعبائنا الواقعية في علم الاجتماع ، بمعنى القيام بإجراء البحوث السوسيولوجية.

ذهب ميرتون إلى أن **التحليل الوظيفي يعتبر بمثابة مدخل سوسيولوجي** لكن هدفه لم يتحقق لأنه مازال بعيداً عن الدقة المنهجية ، ويرجع هذا النقص المنهجي أساسا إلى المفهومات والافتراضات غير الدقيقة والمشوشة.

ومن هنا قدم قائمة يمكن مراجعتها تحدد ما لا يمكن أو يمكن عمله عند دراسة أي ظاهرة في ضوء الإطار الوظيفي، ولقد أطلق على **هذه القائمة المنسقة** النى يمكن مراجعتها من المفهومات والإجراءات **اسم النموذج القياسى.**

فهناك مشكلة تواجه **مفهوم الوظيفة** ذاته، لأنه قد **استخدم بمعان وطرق كثيرة ومختلفة** ، تبدأ بالمهنة والحدث المفرح، والنشاطات التي تنجز من خلال الدور أو المنصب وتشير أيضا إلى الدوافع والمقاصد والأهداف.

واقترح ميرتون أن نحصر هذا المفهوم فقط في تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها للأحداث الاجتماعية أو الترتيبات التي توضع من أجل تكيف أو توافق نسق ما(الجماعة أو المجتمع.)

وهناك أيضا مشكلات ترتبط بالفروض العامة التي صاغها الوظيفيون .ويذهب ميرتون إلى أن هناك على الأقل ثلاثة افتراضات مضللة في التحليل الوظيفي والتي حاول أن يعالجها ، **وهذه الافتراضات هي-:**

١- افتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع: FUNCTIONAL UNITY OF SOCIETY

وهناك افتراض شائع وخاصة بين **الأنثروبولوجيين** بأن كل المعتقدات المقننة(العناصر الثقافية)أو الأساليب الموحدة **(**الأدوار والمنظم والأنشطة الاجتماعية)**تعتبر وظيفة بالنسبة للنسق الثقافي أو الاجتماعي في جملته.**

والمشكلة التي تواجه هذا الافتراض أنه قد يصدق عموما على المجتمعات البدائية والصغيرة لكنه يفقد معناه بالنسبة للمجتمعات المعقدة والكبيرة، فقد لا تكون كثير من العناصر وظيفية بالنسبة للنسق في جملته وإنما قد تكون كذلك بالنسبة لأحد أجزائه فقط.

لا بد لعالم الاجتماع عندما يقول أن عنصر معين يعتبر وظيفياً ، أن يحدد الوحدة التي يعنيها، لأنه قد يكون وظيفيا فقط بالنسبة لنظام معين أو جماعة أو أسرة واحدة أو مدرسة.

٢- افتراض الوظيفية الشاملة: UNIVERSAL FUNCTIONALISM

ويرتبط هذا الافتراض ارتباطا وثيقا بافتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع ويصعب فصله عنه، إذ من المفترض أن نجد وظائف ايجابية لأي عنصر اجتماعي.

٣- افتراض الضرورة الوظيفية : INDISPENSABILITY

وهذا الافتراض يخلط بين الأفكار التالية-:

أ -الملزمات الوظيفية : **PREREQUISITE** بمعنى أن هناك وظائف أساسية محددة ينبغي تحقيقها إذا كان على وحدة معينة(مجتمع أو جماعة) أن تستمر أو يكتب لها البقاء.

ب -الأشكال الاجتماعية / نظم / أساليب : إذ ينبغي مثلا أن يكون للمجتمع بعض الترتيبات المنظمة التي تضمن له تحقيق الملزمات الوظيفية مثل الإنتاج وتوزيع الطعام وغير ذلك من الموارد النادرة ، غير أن هناك طرق كثيرة ونماذج عديدة من الترتيبات الاجتماعية الملموسة والواقعية لإنجاز هذه الملزمات.

ج -الوظائف الظاهرة والكامنة : MANIFEST & LATENT FUNCTIONS

ويضيف ميرتون بالنسبة للتحليل الوظيفي أنه في بحوثنا قد نميز بين **الوظائف الظاهرة التي تعتبر معترفا بها ومقصودة من جانب الأفراد المعنيين** وبين الوظائف الكامنة التي تمثل النتائج غير المقصودة وغير المعترف بها للسلوك الاجتماعي.

انتهى_____-

المحاضرة العاشرة::::::::::::::::::::::::::ك : نظرية التفاعلية الرمزية – منظور مغاير

أولا: نظرية التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionalism

تعتبرالتفاعلية الرمزية واحدة من المحاور ا لاساسية، التيتعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الانساق ا الاجتماعية، **وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى** منطلقة مهنا لفهم الوحدات الكبرى بمعنى: انها تبدأ بالافراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي فأ فعال ا لافراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من ا لادوار، ويمكن النظر الى هذه ا لادوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث ل المعاني والرموز، ومن هنا يصبح التركيز اما على بنى دوار والانساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي

•ونجد أن هناك اهتماما لتطوير مدخل التفاعليه الرمزيه لتحليل الانساق الاجتماعيه ، فالتفاعل خاصة النمط المعياري والاخلاقي هو انطباع ذهني ارادي يتم في نطاق المواجهة، كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف وتوضيح توقعات الدور

مصطلحات النظرية :

•**التفاعل:** هو سلسلة متبادلة ومستمره من الاتصالات بين فرد وفرد، أو فرد مع جماعة، أو جماعة مع جماعة .

•**المرونة:** ويقصد بها استطاعة الانسان ان يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد، وبطريقة مختلفه في وقت اخر، وبطريقة متباينة في فرصة ثالثة .

•**الرموز:** وهي مجموعة من الاشارات المصطنعه يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عمليه التواصل، وهي سمة خاصة في الانسان، وتشمل عند جورج ميد اللغة، وعند بلومر المعاني ,ا وعند جوفمان الانطباعات والصور الذهنية

. •**الوعي الذاتي :** وهو مقدرة الانسان على تمثل الدور فالتوقعات التي تكون لدى الاخرين عن سلوكنا في ظروف معينة هي بمثابة نصوص، يجب أن نعيها حتى نمثلها على حد تعبير جوفمان

أهم رواد نظرية التفاعلية الرمزية

جورج هربرت ميد

هربرت بلومر

جوفمان ارفنج

الاسم : جورج هربرت ميد مواليد : ١٨٦٣م بولاية ماساتشوستش وفاته : عام ١٩٣١م التخصص : عمل النفس الاجتماعي الجنسيه : امريكي موجز: ميد عالم امريكي في علم النفس الاجتماعي . ومؤسس نظرية التفاعلية الرمزية. واهم من وضع اسس التفاعلية الرمزية في علم الاجتماع على رغم من أنه فيلسوف مهتم بالعمليات الاجتماعية اكثر من كونه عالم اجتماع

الاسم : هربرت بلومر مواليد : ١٩٠٠م في سانت بولاية ميسوري في الولايات المتحدة الامريكية التخصص: علم اجتماع الجنسيه : امريكي موجز: ركز هربرت بلومر اهتمامه حول دعم وتطوير مفاهيم ميد وذلك من خلال دراسة الامبريقية للسلوك الجمعي ولكنة أيضا حاول أن يعمق تحليلات التفاعلية الرمزية للمجتمع فضلا عن اهتمامه بمناقشة المناهج السوسيولوجية الملائمه لمنظور التفاعلية الرمزية

الاسم : جوفمان ارفينج مواليد : ١٩٢٢م التخصص: علم اجتماع الجنسيه : امريكي موجز: جوفمان ارفينج عالم اجتماع أمريكي حقق شهرة واسعة في مجال علم الاجتماع بفضل تحليلاته لاسلوب العلاقات مابين الاشخاص وصاحب شخصيه محوريه في علم الاجتماع الامريكي وتتلمذ على يد هربرت بلومر

أسس التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionalismعند جورج ميد-

١- السمات المميزة للكائنات الانسانية :-

يقوم مدخل **ميد** على افتراض مؤداه أنه يوجد هناك اختلاف بين الاستجابات الحيوانية وبين السلوك الإنساني ، ويتطلب السلوك كما يفهمه ميد تملك العقل ، ولهذا كان تملك العقل أحد السمات المميزة للأنواع الإنسانية

وأكثر من هذا يقرر ميد أن الإنسان يتميز بأن له ذات Self وهو المخلوق القادر على أن يكون له ذات وموضوع في وقت واحد ، بمعنى أنه بإمكان الإنسان أن يمر بالخبرة ويدرك أو يعي هذه الخبره .في حين يسيطر على حياة معظم الأنواع الحيوانية في نظر ميد ، علاقة المنبه والاستجابة ، وهذه العلاقة تنطوي على ارتباط آلي بين ظروف السلوك والسلوك ذاته، فعندما يحدث شيء يستجيب له الحيوان بطريقة آلية وثابتة..

بينما لا ينطوي السلوك الإنساني على هذا النوع من الارتباط الثابت بين الفعل والظرف، فهناك درجة كبيرة من المرونة، وقد يتصرف الإنسان في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد ، وبطريقة مختلفة في وقت آخر ، وبطريقة متباينة مرة ثالثة في فرصة ثالثة، ولا ترتبط الكائنات الإنسانية بعلاقة المنبه والاستجابة.

إذ يمكن لهم أن يخططوا لسلوكهم في ضوء توقعاتهم بالكيفية التي ستحدث بها الأمور، ويمكن أن يدركوا بعد حدوث أحد الظروف كيف أن أفعالهم التي شرعوا فيها باءت بالفشل وبإمكانهم أن يراجعوا توقعاتهم وممارستهم في المستقبل في ضوء ما كانوا قد تعلموه من هذه الخبرة الماضية.

• وإذا كان بإمكان الكائنات الإنسانية أن تتوقع المستقبل وأن تخطط ألفعالها وأن تبني على السلوك الماضي فينبغي أن تكون قادرة على أن تنعكس على ذواتها وأن تنظر إليها بنفس الطريقة التي تنظر بها إلى أي موضوع آخر ، ولا ينبغي عليهم أن يدركوا الأشياء الأخرى والتي تشكل بيئتهم فقط

وإنما عليهم أيضا أن يتمكنوا من بعض الإدراك لذواتهم كأشياء في نفس بيئتهم، وتعد هذه المقدرة على الوعي الذاتي أو القدرة على النظر إلى ذواتهم بمثابة سمة بارزة مميزة للكائنات الإنسانية في تصور ميد. ويعتمد الوعي الذاتي على مقدرة الكائن الإنساني الفرد على أن يكون نفس الاتجاه عن نفسه كما يأخذ به الآخرين نحوه، فهو يعتبر من وجهة نظر الناس الآخرين موضوعا في بيئتهم

ويعنى النظر إلى الذات كموضوع النظر إلى أنفسنا كما يفعل الآخرون ، ويعتبر نمو الطفل هو المثال المفضل على ذلك لدى ميد ، إذ ينشغل الطفل في أثناء اللعب بعملية تقليد السلوك الذي يراه من حوله ، فهو يقلد ساعي البريد أو والده أو رجل البوليس.

تحول الطفل في رأي ميد من مخلوق قادر فقط على الانشغال في تقاليد اللعب إلى مخلوق يظهر الوعي الذاتي الذي تتطلبه المباريات يوضح بطريقة مصغرة العمليات العامة للتطور الإنساني، ذلك لانه لا ينبغي على الكائنات الإنسانية أن تتملك الوعي الذاتي في المباريات فقط وإنما عليها أيضا أن تفعل ذلك في كل النشاطات الاجتماعية

ولا يستطيع الفرد بالطبع أن يدرك بالضبط كيف يبدو لكل شخص آخر في العلم ، فهناك الكثير منهم ، وبذلك تصبح المهمة بالغة الصعوبة.. وإنما بدال من ذلك يستجيب الفرد إلى الآخر عامة بمعنى أنه يستجيب لإحساسه بوجهات النظر العامة والمعتادة والسائدة التي يراها الآخرون فيه..

ويعتبر هذا الإدراك الاتجاهات ووجهات نظر الآخرين أمراً ممكناً فقط لان الكائنات الإنسانية تتقاسم فيما بينها الرموز ذات الدلالة، بمعنى أن الكائنات الإنسانية بإمكانها أن تنشغل في اتصال ذي مغزى مع بعضهم الآخر من خلال وسيلة اللغة

وأنه من خلال الحوار مع الآخرين يصبح الفرد مدركاً لوجهات نظر واتجاهات الآخرين وبإمكانه من خلال هذا التبادل أن يتعلم طرق السلوك التي يتطلبها الآخرون منه ، وأن يكتسب الوعي الذاتي الذي يعد جوهرياً لعملية تنسيق الحياة الجمعية

<u>النقطة الثانية من أسس التفاعلية الرمزية عند جورج ميد</u>

٢- الدراسة العلمية للعقل •

كانت عملية حل المشكلة الفلسفية المتعلقة بالعلاقة بين العقل والطبيعة أحد الاهتمامات المحوريه لدى ميد، وتكتسب هذه المشكلة مغزى ودلالة بالنسبة للعلوم الاجتماعية عندما نعرفها على ضوء سؤال كالآتي• -:

هل بإمكان هذه الأساليب التي حققت جناحاً في دراسة الطبيعة ونعني أساليب العلوم الطبيعية ، أن تطبق بما يعود بالفائدة في دراسة العقل ودراسة النشاطات الاجتماعية الإنسانية ؟

وحاول ميد أن يوضح أنه ليس هناك حاجة أن نضع حداً فاصلا بين الطبيعة والعقل بنفس الطريقة التي فعلها بعض المفكرين ذلك لان هذا الفصل الحاد غير مناسب كما يقرر ميد، لان العقل يعتبر جزءاً من الطبيعة ، ولتوضيح وجهة نظره لجأ إلى نظرية التطور التي فهمت عموما على أنها تنتمي إلى الطبيعة. ولكي يتم توضيح أن العقل يعد نتاجاً لجانب معيني من العملية التطورية معنى ذلك توضيح كيف أنه يعد طبيعياً كأي شيء آخر برز بواسطة هذه العملية

ويذهب مثالا إلى أن المقدرة على التحكم في اللغة التي تعد حاسمة بالنسبة لعملية تطور العقل برمتها تعتمد على التطور الفسيولوجي للكائن العضوي الإنساني ونعنى تطور الجهاز الصوتي ويتطلب نمو وتطور العقل ذاته تطور الجهاز العصبي المركزي إلى تلك الدرجة من التعقيد التي يتحرر فيها السلوك من ضغوط الأفعال المنعكسة

ونعني التحرر من العلاقة الآلية لارتباط المنبه بالاستجابة ، وباختصار أن تطور الأوتار الصوتية والجوانب الأخرى لفسيولوجية الإنسان تخلق إمكانية العقل الإنساني ، وبهذه الطريقة يوضح ميد كيف يعتبر تطور العقل أحد جوانب العملية التطورية العامة ، والعقل يمثل أحد الجوانب التي تميز الكائنات الإنسانية عن الكائنات الحيوانية الأخرى..

ويعتقد ميد أننا في حاجة إلى تفسير العالم السلوكي لأصول التطورية ولتطور العقل الإنساني ، وبدلا من الاستمرار في محاولة التغلب على الصعوبات التي يحدثها التصور الضيق للطبيعة حاول أن يوسع هذا التصور ليسمح للعقل بأن يدخل ضمنه

وفي محاولة التعرف على التفسير الذي قصد أن يقدمه كعامل سلوكي نلاحظ أن ميد لم يذهب مثل غيره ممن استعانوا بنفس الاسم الذي استعان به، إلى أن الخصائص العضوية والطبيعية للوجود الإنساني هي التي يجب دراستها فقط بدون أي اهتمام بأشياء مثل التفكير والشعور في الواقع

وإنما كان ميد ثابتا في رأيه بأنه ينبغي دراسة التفكير والوعي والخبرة ولا يفيد اسم العالم السلوكي كما استخدمه ميد في التعرف على موضوع اهتمامه بمعنى "أنه سوف يعنى بمعالجة الأشياء العضوية دون حالات العقل" وإنما في التعرف على الأسلوب الذي اتبعه

ولقد بين ميد تفسريه على ملاحظة النشاطات المعتادة في الحياة الاجتماعية ، وعلى الحقائق المتوافرة عامة والتي يمكن ملاحظتها على نحو شائع والتي ينبغي على كل واحد منا أن يلاحظ فيما يتعلق بحياتنا الجمعية.

وإذا كانت السمة المميزة للعلم ليست هي الطبيعة المادية للظواهر التي ندرسها وإنما إمكانية توافر ملاحظتها أمام العامة لذلك فإن تفسير العالم السلوكي في نظر ميد يتفق تماما مع متطلبات الحياة

المجتمع والسلوك الاجتماعي

يرى ميد أن هناك علاقة تبادلية بين الذات والمجتمع .فالمجتمع هو حصيلة تفاعل مستمر بين العقل البشري والنفس البشرية. كما انهما يتشكلان أصلا عن طريق التفاعل أي من خلال التنشئة الاجتماعية والتي تعد مفهوما مركزيا عند ميد. والتفاعلية الرمزية لها القابلية على .صياغة سلوكنا في ضوء ما يتوقعه الاخرون منا

ان السلوك على وفق طروحات ميد يجمع ثلاث عناصر أساسية **(العقل،النفس،المجتمع).** ووفق أفكار ميد نجد أن **الذات** تشمل العقل والنفس. و**العقل** عند ميد يعني القدرة على تمثل الرموز والاشارات التي لها معاني اجتماعية وثقافية والتي يكون بموجبها السلوك ممكنا اذ ينمو الانسان عقليا من خلال عمليات التقليد للرموز التي يستخدمها الاكبر منه سنا ، وبعد مرحلة الطفولة يحاول الطفل أن يختار لنفسه سلواك بين جمله أنماط سلوكيه وهنا تكون مهمة العقل ادماج الطفل بالمحيط الاجتماعي مع العلم ان قدره الانسان على اكتساب الرموز سواء كان ذلك تقليديا أم اختياريا عملية قابلة للتطوير والتغير.

انتهى _____.

المحاضره الحاديه عشر من النظريات ::::::::::::::::نظريه التفاعليه الرمزيه _ منظور مغاير. (تتمه)

المفاهيم الاسا سية لاتجاه التفاعلية الرمزية

١-ليس لظواهر المجتمع وجود خارج نطاق وعي الأفراد وإدراكهم والباحث ما هو إلا فرد يعيش في المجتمع ، فعلى الباحث عندما يدرس هذه الظواهر أن يتسلح بقدر من الوعي العلمي الذاتي ثم يشتق لنفسه من الأدوات ما يمكنه من الغوص في نفوس الأفراد لاستخلاص ظواهر المجتمع ، فكان التركيز على هذه الأساليب الجديدة في جمع البيانات عن الظواهر الاجتماعية .

٢-الذات هي الموضوع الأساسي للتفاعل الاجتماعي، فهي تحمل كماً هائلا من التفسيرات المختلفة للموضوعات وتعتمد في ذلك على الرموز وشبكة الاتصالات الرمزية.

٣. الموضوعات أو الظواهر الاجتماعية الخارجية لا تحمل معاني داخلية خاصة بها، إنما يكمن وجودها في المعاني التي يضفيها الأفراد عليها فأي شي يقع خارج نطاق الذات ويتجه نحو التفاعل سواء كان فيزيقيا كالطاقة أو تخيليا كالغول أو طبيعيا كالمطر أو مجرد كمفهوم العدالة أو متصلا بشخص معين وهذه المعاني التي يضفيها الأفراد على الموضوعات تظهر بصورة تلقائية أثناء عملية التفاعل.

٤. تلعب الرموز كما تعكسها اللغة دورا في إضفاء معان معينة على الموضوعات الخارجية فهي وسيلة الذات في التعرف على العالم

٥. إيواء الذات والمقصود بذلك ترجمة الذات إلى ذوات ومخيلات للآخرين وهذا يتيح نشأة العادات والتقاليد والأعراف وهنا يصبح السلوك اجتماعيا وأكبر من السلوك القائم على الدوافع الفردية ومن العلامات التي تعكس محاولة إيواء الذات ارتداء ملابس معينة واتخاذ أسماء معينة واتباع طريقة معينة في الحديث.

الاسم : هربرت بلومرمواليد 1900 : م في سانت بولاية ميسوري فيالولايات المتحدة ا أ لمريكيةالتخصص :علم اجتماع الجنسيه :امريكي موجز :ركز هربرت بلومر اهتمامه حول دعم وتطوير مفاهيم ميد وذلك من خلال دراس ته الامبريقية للسلوك الجمعي ولكنة أ أيضا حاول أ أن يعمق تحليلات
التفاعلية الرمزية للمجتمع فضلا عن اهتمامه بمناقشة المناهج السوس يولوجية الملائمة لمنظور التفاعلية الرمزية
ثانياً :التفاعلية الرمزية والعلم في نظر هربرت بلومر

انتقد هربرت بلومر الكثير من أ أفكار النظرية الوظيفية وبالذات تصورها للمجتمع . اذ لا يرى النظرة للمجتمع أ أو الجماعات على أ أنها انساق اجتماعية . بل يجب أ أن ننظر الى سلوك الجماعة على أ أنه تعبير عن نسق يوجد اما في حالة من التوازن ، أ أو أ أنه يسعى نحو تحقيق التوازن

أما أ أن نتصور سلوك الجماعة على أنه تعبير عن وظائف يقوم بها المجتمع ، أو تقوم بها جماعة ما ، أو ندرس سلوك الجماعة على أ نه تعبير خارجي لعناصر قائمة في المجتمع أو في الجماعة، كما تتمثل العناصر في الحاجات الثقافية، أو أغراض المجتمع، أو القيم الاجتماعية ، أو الضغوط التي تفرضها النظم . فكل هذه الافكار تتجاهل النظرة الى حياة الجماعة

•ينظر غالبا إلى التفاعلية الرمزية على أنها تأخذ بوجهة النظر القائلة أن مناهج العلوم الطبيعية لا يمكن تطبيقها دون قيود على البحث السوسيولوجي ، وقد يبدو أن ما ذكرناه عند ذكر آراء ميد يتعارض مع وجهة النظر هذه، لأن ميد حاول أن يوضح أن العلوم الطبيعية والاجتماعية تشكل متصلاً.

ذلك لأن العقل يناسب كموضوع للدراسة العلمية ولا يختلف عن أي جانب آخر من جوانب الطبيعة في هذه الناحية، وتعتمد القضية في كليتها وإلى حد كبير على ماذا نعنيه بمناهج العلوم الطبيعية

ويبدو أن بعض علماء الاجتماع يعتقدون أن اتباع مناهج العلوم الطبيعية يعنى تقليد الإجراءات المحددة المتبعة في علم الطبيعة مثلاً، غير أن بلومر قد هاجم بقوة مثل هذه الفكرة في علم الاجتماع ، وعلى الرغم من أن مخالفة بلومر لهذا تنطوي على مضامين كثيرة إلا أنه بالإمكان التعرف على وجهة نظر بلومر من خلال انتقاداته لتحليل المتغيرات

•إذ يتطلب تحليل المتغيرات التعرف على العلاقة بين متغيرين أو أكثر وتحديدهما، ولنأخذ مثالاً على ذلك نوع تحليل المتغيرات الذي قد يمدنا به العلم الطبيعي

•فبالنسبة لأي غاز :يتغير الضغط مباشرة بتغير درجة الحرارة ، ولدينا هنا متغيرين وهما الضغط ودرجة الحرارة، وكل منهما يعد متغيرا بمعنى أن مقدار كل منهما قد يتغير أو قد يزيد أو ينقص ، وإذا أمكن لنا أن نكشف عن علاقة ثابتة لها قيمة علمية بين هذين المتغيرين ، بمعنى أنه إذا أمكن أن نوضح أن الزيادة في الضغط ترتبط دائما بالزيادة في درجة الحرارة نكون قد توصلنا إلى نتيجة لها قيمة علمية.

•والأفضل من ذلك إذا أمكن لنا أن نضفي الطابع الكمي على هذه العلاقة من خلال توضيح مثلا : أن الزيادة في كل رطل من الضغط ترتبط بالزيادة بدرجتين في ارتفاع الحرارة ، وقد يكون بإمكاننا حتى أن نتجاوز ذلك ونوضح اتجاه العلاقة بين هذين المتغيرين من خلال الكشف عن أن التغير في أحد هذين المتغيرين يؤدى إلى التغير في الآخر.

بمعنى أن التغير في الضغط يؤدى إلى التغير في درجة الحرارة، وفي هذا المثال يمكن أن نتحدث عن المتغير الأول وهو الضغط ونعتبره متغيراً مستقلاً Independent ، وأن نعتبر درجة الحرارة متغيراً تابعاً أو معتمداًDependent

•أن علماء الاجتماع لا يستطيعوا أن يوضحوا لنا بدقة ما هي أنواع النشاطات التي يمكن بها أن تدلل على تلك المقولات المجردة مثل التماسك الاجتماعي والسلطة والروح المعنوية للجماعة، ومعظم التعبيرات الفنية الأخرى التي تشكل مصطلحات علم الاجتماع.

ومثل هذه التعبيرات فيما يرى بلومر تفتقر في العادة إلى المؤشرات المنتظمة والثابتة ويحاول كل باحث أن يتصور المؤشرات التي تتناسب مع المشكلة الخاصة التي يقوم بدراستها، وهكذا يختار أحدهم بعض السمات التي تمثل التكامل الاجتماعي للمدن، بينما يستعين آخر بمجموعة سمات أخرى في التعبير عن التكامل الاجتماعي لعصابات الأحداث الصغار

•ويؤكد نقد بلومر لتحليل المتغيرات ضخامة ما نحن عليه من جهل ، فعلى الرغم من مظهر المعرفة والإتقان الذي يمكن أن يضيفه تقليد النظم الفكرية الأكثر تعقيداً على علم الاجتماع ، إلا أن بلومر **يذهب إلى أن:**

•الحياة الاجتماعية بالغة التعقيد وتتشكل من عمليات متشعبة ومفصلة ولا يتوافر لدينا إلا قدر محدود من النتائج حولها، ويحتمل أن تكون الميكانزمات الداخلية للحياة الاجتماعية أكثر تعقيداً من العمليات التي عملت على وجودها

ولا يتوافر لدينا إلا الفهم السطحي لطبيعتها فقط، ولذلك كانت التوصية العامة التي قدمها بلومر لتطوير نظامنا الفكري هي أن نعمل على اكتساب المعرفة المفصلة والودية لمختلف الظواهر التي يضمها هذا النظام الفكري، وبدلاً من اتباع الأمثلة التي يصعب تطبيقها والتي وضعت بمعرفة علوم أخرى ، من الأفضل أن نعمل على تحقيق تطوير لنظامنا الفكري إلى درجة يمكن له بها أن يكون حساساً وسريع الاستجابة لتلك المسائل التي تميز الحياة الاجتماعية.

ثالثا: قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع في نظر التفاعلية الرمزية

•**ينطلق** عالم التفاعلية الرمزية من افتراضات مؤداها أن تنظيم الحياة الاجتماعية ينشأ من داخل المجتمع ذاته، من عمليات التفاعل بين أعضاء هذا المجتمع، ويرفض الفكرة التي تقول بأن شكل التنظيم الاجتماعي يحدد من خلال تأثير عوامل خارجية جغرافية أو اقتصادية

•كان علماء التفاعلية الرمزية في طليعة المدافعين عن البحث المتعلق بعملية تنشئة البالغ .لقد انتقدوا بشدة تلك التصورات لعملية التنشئة الاجتماعية التي تعتبر السمات الأساسية للسلوك قد ترسخت في مرحلة الطفولة، ولا تخضع لأي تعديل لاحق في المستقبل

هذا الفهم لعملية التنشئة يصفع في نظر التفاعليون الرمزيون الفكرة ((**أن ما نتعلمه في المراحل الأولى للطفولة يؤدي آلياً إلى أنواع : » القائلة محددة من أنماط السلوك التي لا يمكن تعديلها والتي تظهر في مرحلة البلوغ**))

•لا ينظر التفاعليون الرمزيون إلى العلاقة بين الفرد والمجتمع على أنها تسير وفق نوع من الحتمية .فالإنسان مخلوق اجتماعي وليس دمية يحركها المجتمع.

الاسم : جوفمان ارفينج مواليد 1922 : م توفي 1982 :م التخصص :علم اجتماع الجنس ية :امريكي

موجز :جوفمان ارفينج عالم اجتماع أ أمريكي حقق شهرة واسعة في مجال علم الاجتماع بفضل تحليلاته أ لأسلوب العلاقات مابين الاشخاص . وصاحب شخصية محورية في علم الاجتماع ا لامريكي وتتلمذ

على يد هربرت بلومر.

وجهه اهتما مه لتطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحلي الا نساق الاجتماعية، مؤكد ا على أ أن التفاعل – وخاصه النمط المعياري و الاخلاقّي –ما هو الا الانطباع الذهني الارادي الذي يتم في نطاق المواجهة، كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف، وتوضيح توقعات ا لدور.

•يرى أن الذات كيان اجتماعي وجد خلال عمليات التفاعل الاجتماعي . وان الفرد لا يعي فحسب(ا لاخر المعمم .)و انما هو يستخدم القيم والاتجاهات السائدة في وسطه الاجتماعي.

أو هو يتعلم هذه القيم والاتجاهات ويدخلها ضمن تكوينه النفسي بطريقة تجعله قادرا على تطوير اتجاهاته الاجتماعية تلقائيا .وتنمية خبرته ومشاعره و اتيان أ أفعال اجتماعية ملائمة .كما أ أن أ أعضاء المجتمع بوصفهم كائنات على وعي بذواتهم ويستخدمون ذكائهم في تنظيم أ أفعالهم .والذي يقتضي نمو الذات ووصولها الى هذا المستوى من الوعي بنفسها . والذي يتحقق من خلال العلاقات الاجتماعية والاتصالات المتبادلة بين الافراد.

ماهي أهم الانتقادات التي وجهت إلى اتجاه التفاعلية الرمزية

الانتقادات التي وجهت لجوفمان

يرفض جوفمان أن يرى الأبعاد الأخلاقية والثقافية الكامنة في الأدوار وكذلك ما تشكله الحاجات من ضغوط على الفرد للقيام بادوار معينة، فليست كل الأدوار هي تمثيل على خشبة مسرح الحياة،فهناك بعض الأدوار في الحياة عفوية

٢.إن المضمون المطلق لنظرية جوفمان هو تحويل السلوك الإنساني إلى نوع من الخداع ، وهذا شيئا مؤلما إنسانيا وثقافيا ، فهل تحمي الأم أطفالها وهي مخادعة ؟ وهل يشقى الأب من اجل أبنائه الصغار وهو يخادعهم؟

٣. إن منطق جوفمان يوحي بتحويل السلوك الإنساني إلى ما يشبه لعبة العملاء والجواسيس، فالكل يخفي شيئا ما ويحاول أن لا ينكشف أمرة أمام الاخرين وبناء على ذلك يلصق جوفمان صفة التشكك والريبة بجميع أوجه الحياة الاجتماعية اليومية

ان الاتصال الرمزي لا يقدم صورة دقيقة لما يرمز اليه، فهو ليس خاليا من الخطأ وسوء الفهم بين الذات والآخرين . ان التصور الذي ترتبط به كل كلمة يمكن أن يعتبر بما يشير اليه أ أو بما يضيف من قيمة كما أ أن العلاقة بين الحركة والاشارة والرموز أبعد من أن تكون واضحة فالحركة ممكن أ أن تكون تتابع اشارات منطلقة ومطلقة وهذا يقتضي الاحتراس من خلطها مع تتابع الحركات التي تنتج أليا من بعض لبعض ، ويمكن أن تكون الحركة استباقا

يلاحظ عدم الدقة الكبيرة لكلمة الرمز، اضافة الى ذلك ينتقد كثيرا من علماء الاتجاه الرمزي بان الرموز كثيرا ما تخرج عن معناها وما يتوقع منها

انتهى

المحاضرة الثانية عشر ::::::::::::::::::::::::كمنهجية الحياة اليومية(الأثنوميثودولوجيا)
منظور راديكالي (1)

تمهيد

•تعد الإنثوميثودولوجيا بمثابة منظور حديث في علم الاجتماع أسسه عالم الاجتماع الأمريكي هارولد جارفينكل في بداية عام 1960 وقد تناول الأفكار الرئيسية لهذا المنظور في كتابه بعنوان (دراسات في الإنثوميثودولوجيا(1967 » وتعني **الإثنوميثودولوجيا** ببساطة (دراسه الطرق التي من خلالها يعطي الناس معنى لعالمهم الاجتماعي)

أولاً :الأسس المعرفية والواقعية للأثنوميثودولوجيا

•يعتبر الاتجاه الأنثوميثودولوجي امتداداً للتيارات الفكرية التي أعلنت بشكل واضح وصريح رفضها للنموذج الوضعي في دراسة الإنسان والمجتمع وقدمت الأطر التصورية والمنهجية البديلة.
•وتعد أفكار(**فيبر**)الجسر النظري بين فلسفة(**هوسرل)** الفينومينولوجية وعلم الاجتماع السوسيولوجي ل(**شوتس**)ولعل ابرز المفاهيم التي استند عليها شوتس هل الفعل الاجتماعي ومنهج الفهم الذاتي والأنماط المثالية

أ- إسهام هوسرل في نمو الأثنوميثودولوجياEthnomethodology .

•ويعد هوسرل المفكر الرئيسي وراء نشأة الحركة الفينومينولوجية وكل اتجاه يطلق عليه فينومينولوجي يجب أن يحمل بالضرورة قضيته الأساسية، ولقد غير هوسرل وعدل في أفكاره عدة مرات ولكن الفقرة التي ظلت ثابتة عنده هي الاعتقاد أن العلم الوضعي السائد في وقته في أزمة وأن الضرورة تحتم البحث عن علم فلسفي جديد.

ويدعو **هوسرل** الفلاسفة إلى دراسة الظواهر ويعني بذلك دراسة المعطيات أو الوقائع التي تبدو للوعي أو الشعور لكي يتم التعرف على هذا الذي ندركه أو نستشعره أو نفكر فيه أو نتحدث عنه دون وضع فروض أو تفسيرات

وهنا يؤكد **هوسرل** على نقده للعلوم الطبيعية ورفضه للنزعة التجريبية ويدعو إلى الدراسة الوصفية البحتة لوقائع الفكر والمعرفة على نحو ما نحياها في صميم وعينا دونالأخذ بأية نظرية من نظريات المعرفة كنقطة انطلاق لها، ففلسفة الظواهر تبغى البحث من جديد عن فلسفة تكون بمثابة علم البدايات.

أن الفكرة الأساسية لأعمال **هوسرل** الفينومينولوجية هي فكرة عالم الحياة ، ولقد كانت فكرته هذه من الأهمية والخصوبة حيث أثرت على عدد كبير من العلماء وأوحت إليهم بكثير من الذي أسهموا به في إثراء التراث الفينومينولوجي، وتعد أبرز هذهالأعمال هي أعمال كل من(**مارلوبونتى - والفريد شوتس.)**

وتشير فكرة عالم الحياة التي يقول بها هوسرل إلى عالم الواقع الملموس لخبرة الفرد المعاشة يمكن تفسير علماء الطبيعة لهذا الواقع ذاته، فكل ما في العالم من أشياء عامة واضحة تمر بها حياتنا اليومية هي بالنسبة للعالم الفينومينولوجي موضوع علم الاجتماع ، ويكشف الفرد هذا العالم الممتد زماناً ومكاناً بسرعة عن طريق الحدس والمدركات الحسية

فتصبح الأشياء المادية ببساطة هناك موجودة مألوفة محدودة بغض النظر عن انشغال الفرد وتوجيه انتباهه إليها أم لا، فالإنسان الواعي يجد نفسه دائما مرتبطا بعالم واحد ومتماثل وموجود دائماً وهو ليس علم أشياء وقائع ملموسة فقط ولكنه عالم قيمة أيضا، ويضم هذا العالم أيضا وقائع ثقافية بما في ذلك العلوم بنظرياتها وعلمائها.

ويسير البحث الفينومينولوجي في عدة خطوات تتضمن كل منها رداً فينومينولوجيا أي تعليق الحكم لكل ما لم يبرهن عليه بطريقة يقينية، ويعنى ذلك عدم الاعتقاد في النظريات والمزاعم المسلم بها، وتبدأ الخطوة الأولى بطرح كل الاتجاهات والافتراضات جانباً ومحاولة فهم الظواهر كمما يعيشها الأفراد عن طريق العيان المباشر لها.

•هذه الظواهر هي الأمور المعطاة لنا حقاً ومهمة العالم الفينومينولوجي تنحصر في فهم عالم الظواهر هذا ووصفه بكل دقة والوقوف على ما بينها من روابط
•فعلى سبيل المثال يمكن أن يكون شخص ما كإنسان عادى ملحداً ولكنه كباحث يرغب في دراسة ظاهرة الدين للكشف عن معناها وتأثيرها على المجتمع، هذه الحالة تحتم عليه أن يضع كل تحيزاته وآرائه واعتقاداته جانبا ويحاول أن يعرف معنى الدين بالنسبة لهؤلاء الذين يدرسهم وهذا يتطلب منه أن يتمثل الآخرين مستخدما خياله وإحساسه وكل قدراته الفنية.

فمعنى أن يضع الإنسان نفسه مكان الآخرين هو أن يشعر بما يشعرون وأن يتابع أفكارهم واتجاهاتهم كما يعيشونها ، هذه العملية تتضمن الوصف القصدى للأفراد وتشمل استخدام الحدس والاستبصار والتوحد العاطفي والمشاركة الوجدانية أما الخطوة الثانية في البحث المنظمة للخبرات الإنسانية فتتطلب درجة أعلى من التجريد لا يسأل الباحث في هذه المرحلة عن معني الخبرة الدينية لهؤلاء الذين يعيشونها ولكنه يسال عن معني الدين بالنسبة للإنسان بشكل عام وللإنسانية ككل.

ب -إسهام شوتس في نمو الأثنوميثودولوجيا.

•من أبرز الأفكار التي استندت عليها الأثنوميثودولوجيا هي فكرة شوتس عن الفعل العقلاني وما تتضمنه من مقارنة بين الاتجاه العلمي والاتجاه الطبيعي وكذلك فكرته عن عالم الحياة اليومية وأخذه الواقع اليومي كنقطة انطلاق وكهدف أساسي للبحث والتحليل، وقد انحصرت المشكلة الأساسية عند شوتس في التوفيق بين فردية الإنسان والمناهج العلمية الصادقة.
ويعتبر شوتس مؤسس المدرسة الفينومينولوجية في أمريكا وتنطلق فلسفته من فكرة هوسرل عن عالم الحياة التي أطلق عليها شوتس عالم الفهم الشائع وعالم الحياة اليومية وهي كلها تعبيرات مختلفة لهذا الذي يعتبره شوتس موضعاً لعلم الاجتماع ، أما دور علم الاجتماع فينحصر في صياغة نظرية لهذا النشاط الاجتماعي وإعداد منهج لوصفه ودراسته.

ومن القضايا الرئيسية التي احتلت جانباً من تفكير شوتس هي قضية وصف وتحليل الفعل الاجتماعي ، ويعتقد شوتس أن العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي في إطار عالم الحياة اليومية تخضع لمبادئ عامة لهذه الحياة

•ويعتقد شوتس أنه حتى الآن لم تتم عملية الفهم العلمي الكامل للفعل الاجتماعي وأن فيبر رغم معالجته لهذه القضايا إلا أن مسيرته العلمية توقفت مبكراً لأنه أوقف للفعل الاجتماعي وللفهم الذاتي وللأنماط المثالية دون أن يشرح كيف يوجه الناس أنفسهم نحو الآخرين أو كيف يمكن للباحث أن يستخدم تلك المناهج لفهم الفعل الاجتماعي.

ويرى شوتس أن الباحث يجب أن يتبنى اتجاه الملاحظ الموضوعي، فالملاحظ الموضوعي لا يشترك في عالم الحياة كفاعل ينقاد لمقاصد وأغراض الحياة اليومية بل قد يكون عالم الحياة بالنسبة للباحث هو العالم الذي يحياه الآخرون الذين يخضعون لملاحظته.

ج -الأثنوميثودولوجيا والتفاعلية الرمزية.

1.أن الدراسات الأثنوميثودولوجية التي عالجت كيفية استخدام القواعد الاجتماعية في الحياة اليومية تتفق مع التفاعلية الرمزية حيث أن هناك علاقة اعتماد وتفاعل متبادل بين الفاعل والقواعد والمواقف الاجتماعية فلا ينسى تفسير السلوك إذا ما جرد من سياقه العام الذي يقع فيه.

٢-فكرة كل من الأثنوميثودولوجيا والتفاعلية الرمزية تتشابه عن اللغة ووظيفتها داخل المجتمع واقتران اكتسابها عند الأفراد باكتساب معاني الأشياء والأحداث مما يتيح فهم وإدراك الأبنية الاجتماعية وجعل التنظيم الاجتماعي المتسم بالثبات أمر ممكن
٣- أهمية السياق بالنسبة لفهم الفعل الاجتماعي ويبدو هذا الاهتمام واضحا في أعمال رواد التفاعلية الرمزية أي أن الأفراد يتصرفون وفق ما يرونه وظيفيا وعملياً في أنشطتهم اليومية الجارية.

٤- الالتقاء بين الاتجاه الأنثوميثودولوجي والتفاعلية الرمزية في أن النظام الاجتماعي يوجد داخل الأفراد فحسب ولا وجود له في غير هذا النظام.

- **ويبرز الاتجاه الموقفي وهو اتجاه تؤكد عليه الأثنوميثودولوجيا : أن السلوك في إطار الموقف والتغيرات التي تطرأ على الموقف، وما يصاحبها من تغيرات في السلوك تعتبر جميعا أفضل منهج يمكن أن يستخدمه العالم الاجتماعي لكي تتحقق التجربة في البحث، ويتطلب ذلك من الباحث دراسة الموقف كما يبدو الشخص ذاته**

د -الأثنوميثودولوجيا والأنثربولوجيا المعرفية.

•في تحديد معنى الأنثربولوجيا المعرفية :علم الشعوب يرى(ستور تفانت)أنها نسق من المعرفة والإدراك النمطي لثقافة معينة، وتعنى الثقافة من وجهة النظر هذه مجموعة من التصنيفات الشعبية لمجتمع معلوم.

١- أن اهتمام الأنثربولوجيا المعرفية بالإدراك المعطى والمعرفة المصنفة ثقافياً يعتبر امتداد لفكرة شوتس عن وجود مخزون من المعرفة النمطية لدى الأفراد يستندون عليها في تفسيراتهم وتأويلهم للظواهر الثقافية في حياتهم ، هذه المعرفة النمطية تبدو لأعضاء المجتمع وكأنها أمور موضوعية وحقيقية عن واقعهم

٢- يدور التركيز الأساسي للأنثربولوجيا المعرفية حول دراسة اللغة، إذ تهتم الأثنوميثودولوجيا بطرق التفسير التي تجعل معنى للأحاديث في الجماعات ذات الثقافات المختلفة من خلال الرجوع إلى الطريقة التي يتكلم بها الأفراد ومعرفة تطوراتهم عما

يؤدونه، واستخراج المعاني والمضامين أمر يتطلب عمق أبعد من ذلك يتمثل في معرفة نوعية وخصائص الأشياء التي تقال في موقف معين ولشخص بالذات والممارسات والطقوس المقترنة باللغة..

٣- اهتمت الأثنوجرافيا الجديدة بالتحليل الدلالي السيمانطيقي(سياق المعنى)وحاولت اكتشاف معاني ومدلولات واستخدامات المصطلحات، وبالتالي ركزت كل من لأنثربولوجيا المعرفية و الأثنوميثودولوجيا على فهم العالم كما يؤوله ويفسره الإنسان في حياته اليومية.

٤- تحدد هدف الأنثربولوجيا المعرفية والأثنوميثودولوجيا في اكتشاف طرق تصنيف أعضاد المجتمع أنفسهم لسلوكهم ويصبح بذلك محور اهتمامها هو كيفية تشكيل الأفراد لعالمهم بدلاً من فرض تصنيفات مسبقة لما يتم ملاحظته.

- **أما سعى الأثنوميثودولوجيا في هذا المجال سيمكنها من اكتشاف ملامح ثابتة في الظواهر يمكن أن تعمم على أكثر من ثقافة.**

<u>ه- -واقع الولايات المتحدة في الستينيات وظهور الأثنوميثودولوجيا.</u>

ظهرت الأثنوميثودولوجيا في الولايات المتحدة في وقت كانت فيه الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية بمثابة التربة الممهدة والمناخ المناسب لنمو هذا الاتجاه ، فإذا كانت الفلسفة الفينومينولوجية قد ارتبط ظهورها ونموها في أوروبا بأزمة العلوم الإنسانية في مطلع القرن العشرين والأزمات السياسية والأخلاقية التي شهدها العالم في هذه الحقبة، فقد ارتبط ظهور ونمو الأثنوميثودولوجيا بأزمة العلوم الاجتماعية الأزمات السياسية والأخلاقية التي كان يمر بها المجتمع الأمريكي بالذات في الستينات....
بينما كانت الحرب فيتنام قائمة في الخارج كان في الداخل الفقر والبطالة والتمييز العنصري وسطوة التحالف العسكري الصناعي وتسلط أقلية محدودة وسيطرتها على مقاليد الأمور وتوظيف القرارات السياسية لمصالح هذه الأقلية في المجتمع وهو ما هيأ ظهور الاتجاه الأثنوميثودولوجي.

وظهرت الأثنوميثودولوجيا في الفكر السوسيولوجي في هذه الفترة كبديل يستند على الفروض الأساسية لعلم اجتماع شوتس الفينومينولجي وقد لاقى هذا الاتجاه قبولاً من طلبة أقسام الاجتماع من الشباب الذين لم يقتنعوا بما درسوه عن الوظيفية وبدت لهم الأثنوميثودولوجيا أكثر اقتراباً من الإنسان ومشكلاته.

ومن هنا نرى الأثنوميثودولوجيا ظهرت كاتجاه قائم بذاته على يد هارولد جارفينكل أحد تلامذة بارسونز ، وقد اتصل جارفينكل بشوتس خلال داسته في الجامعة حيث تبادلا الزيارات واشتركا في عدد من الدراسات وكانت حصيلة الدراسة التي تلقاها جارفينكل على يد أستاذه بارسونز والآراء التي تبادلها مع شوتس أن انتهى إلى صياغة الأثنوميثودولوجيا.

ويعتبر جارفينكل رائداً ومؤسساً لهذا الاتجاه أما(آرون سيكوريل)فيحتل مكانة بارزة في التاريخ القريب لهذا الاتجاه فقد أثرى الاتجاه بقضايا تتصل بأسئلة أساسية في علم الاجتماع منها كيفية إفراز الأفراد لقواعد سلوكية يستخدمونها في ضبط سلوكهم وسلوك الآخرين

•وفي هذا عودة إلى مشكلة النظام الاجتماعي ولكن بأسلوب أثنوميثودولوجي مميز ....وقد أطلق سيكوريل على إنتاجه الفكري علم الاجتماع المعرفي لعدم استساغته لمصطلح أثنوميثودولوجيا.

انتهى _____